نظرة في شرق أوروبا
وحالة المسلمين بعد
سقوط الشيوعيّة
رحلة وحديث في أمور المسلمين

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرة في شرقِ أُورُوبا

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي: أحد الأدباء السعوديين الحائزين على (ميدالية) الإستحقاق في الأدب، ولد في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم عام ١٩٣٠م. وتعلم في مدارسها وتلقى العلم على مشايخها ثم على مشايخ آخرين في المملكة العربية السعودية.

شغل وظائف رئيسية منها مدير المعهد العلمي في بريدة من عام ١٣٧٣هـ إلى عام ١٣٨٠هـ ثم نقل إلى وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما افتتحت وكان من الموظفين المؤسسين للجامعة. وذلك لمدة ثلاث عشرة سنة.

عين بعدها وكيلاً للجامعة الإسلامية لمدة سنة واحدة.

ثم نقل إلى وظيفة (الأمين العام للدعوة الإسلامية) برتبة وكيل وزارة (المرتبة الخامسة عشرة) وبقي فيها ثماني سنوات.

ثم (الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي) الحالية.

له بحوث عديدة واشترك في عشرات المؤتمرات الإسلامية والأدبية.

اولاً - مؤلفاته المطبوعة:

١ - معجم بلاد القصيم: ستة مجلدات، نشر دار اليمامة للطبع والنشر.

٢ - الأمثال العامية في نجد: خمسة مجلدات، ساعدت دارة الملك عبد العزيز في نفقات طباعته.

٣ - في إفريقية الخضراء: نشر دار الثقافة في بيروت.

٤ - صلة الحديث عن إفريقية. نشر دار العلوم في الرياض.

٥ - كتاب الثقلاء، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (سلسلة الكتاب العربي السعودي).

٦ - شهر في غرب إفريقية، طبع المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

٧ - رحلات في أمريكا الوسطى، طبع المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

٨ - جولة في جزائر البحر الزنجي طبع المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

٩ - إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - نشر النادي الأدبي في مكة المكرمة.

١٠ - «مأثورات شعبية: سلسلة الكتاب السعودي.

١١ - «سياحة في كشمير» طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

١٢ - «رحلة إلى جزر مالديف: إحدى عجائب الدنيا... نشر دار العلوم في الرياض.

١٣ - «رحلة إلى سيلان» نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

١٤ - «في غرب البرازيل» طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

١٥ - «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر» طبع مطابع الفرزدق التجارية.

١٦ - «بقية الحديث عن إفريقية»، طبع مطابع الفرزدق التجارية.

١٧ - «جولة في جزائر البحر الكاريبي»، المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

١٨ - «جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي» مطابع الفرزدق التجارية.

١٩ - «إلى أقصى الجنوب الأمريكي»، مطابع الفرزدق التجارية.

٢٠ - «مشاهدات في بلاد العنصريين» نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة.

٢١ - «نفحات من السكينة القرآنية»، نشر دار العلوم - الرياض.

٢٢ - «على ضفاف الأمازون»، نشر النادي الأدبي في أبها.

٢٣ - «سوانح أدبية»، طبع مطابع الفرزدق التجارية.

٢٤ - «أخبار أبي العيناء اليمامي» نشر دار اليمامة للطبع والنشر بالرياض.

٢٥ - «داخل أسوار الصين» مجلدان: طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٦ - «مع المسلمين البولنديين»: طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٧ - «بلاد الداغستان»: طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٨ - «جمهورية أذربيجان»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٩ - «مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين»، نشر النادي الأدبي في الرياض.

٣٠ - «بين الأرغواي والباراغواي» طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣١ - «صور ثقيلة»، طبع مطابع الفرزدق التجارية.

٣٢ - «في نيبال، بلاد الجبال» طبع مطابع نجد في الرياض.

٣٣ - «زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية» مطابع الرياض الأهلية للأوفست.

٣٤ - «على قمم جبال الإنديز» طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٥ - «في أعماق الصين الشعبية» نشرته مجلة المنهل التي تصدر في جدة.

٣٦ - «بورما: الخبر والعيان» طبع في بيروت.

٣٧ - «مقال عن بلاد البنغال» طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٨ - «ذكريات من يوغسلافيا» طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٩ - «الرحلة الروسية»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٤٠ - «كنت في بلغاريا»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٤١ - «كنت في ألبانيا» طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٤١ - «أيام في النيجر» (طبع في بيروت).

٤٢ - نظرة في شرق أوروبا وحالة المسلمين بعد سقوط الشيوعية، طبع في بيروت.

٤٣ - ذكرياتي في إفريقية - محاضرة نشرتها رابطة العالم الإسلامي.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

براءة
تكريم الأدباء السعوديين

يسر وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء. أن يمنح السيد/ محمد بن ناصر العبودي ميدالية الاستحقاق تكريماً لجهوده وإنتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٣ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

مدير الجامعة

محمد عبده يماني

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة

المقدمة

هذه الرحلة أو الجولة هي إلى بلاد سبق أن زرتها، وكانت آنذاك على حالة غير هذه الحالة إذْ كانت قد فرضت على نفسها ستاراً حديدياً فرضه عليها ستار عقيدي لأنها التزمت بعقيدة شيوعية فاسدة، غير طبيعية فقد حاربت الدين ولم تحصل على الدنيا فأضاعت الإيمان من مبادئها وضاع معه العيش الطبيعي للإنسان فيها.

وعندما زرتها للمرة الأولى في عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م كان ستارها الحديدي قد بدأ به الإنحلال وإن لم يكن ستارها العقيدي قد بان فيه الإختلال، ولكن السبب في خفة ذلك الستار الباقي في ذلك الحين أو تخفيفه هو أن حكامها تبينوا أن عقيدتهم الشيوعية لا تعطي لهم من العملات العالمية والمواد الأولية، بل الأغذية الضرورية في بعض الأحيان كالقمح للإنسان والشعير للحيوان، ما يكفي البلاد فخففت ذلك الستار الحديدي وأبقت الستار العقيدي، لذلك جعلت عنوان كتابي الذي كتبته عن الرحلة في تلك المرحلة (خلف الستار العقيدي).

ثم شاء ربك أن يفلس الشيوعيون أهل الستار الحديدي والعقيدي وأن يعلنوا إفلاسهم بأنفسهم بأن شهدوا أن شيوعيتهم ومعها إلحادهم لم توفر لهم الزاد، ولا المزاد، بل أفقرت البلاد والعباد وأهدرت كرامات الأفراد. فكان أن خرجوا من ربقتها وأعلنوا أنهم طلقوها بلا رجعة.

وكان ذلك من صنع الله للإخوة المسلمين في تلك البلدان الشيوعية فقد صحوا أو كانوا كمن عوفوا من مرض لا تزال آثاره باقية ولكنهم

بإيمانهم العميق الذي صمد لكل أنواع الحروب الإلحادية والدعوات المادية المعادية للأديان على وجه العموم، وللإسلام على وجه الخصوص قد أخذوا يتلفتون إلى تجديد أنفسهم، فيجددون بناء مساجدهم التي بأيديهم أو يفتحون فيها الفصول الدراسية الإسلامية ويسعون إلى استعادة مساجدهم المصادرة، وأوقافهم المنهوبة، ولكنهم في هذه المرحلة من تاريخهم يحتاجون مع إخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية إلى العون والتأييد بكافة أنواع العون لأنهم كانوا قد جردوا من كل شيء، وخسروا كل ما يستطيعون أن يستعيدوا به عقيدتهم في نفوسهم إلا إيمانهم الصلب الذي لم تنل منه المحن.

فكان أن أسرعت رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد فأرسلت وفداً برئاستي إلى الإتحاد السوفييتي للنظر فيما يحتاجه الإخوة المسلمون لأمور دينهم في هذه المرحلة الإنتقالية من تاريخهم.

فسافرنا في شهر حزيران (يوليو) من العام الماضي ١٩٩٠ م. وحملنا معنا مبالغ مالية قدمناها للمساجد التي تشاد أو التي ترمم وللمعاهد الإسلامية التي تنشأ، وحتى للفصول الدراسية التي تقام في المساجد.

وذلك من صندوق مالي أنشأته رابطة العالم الإسلامي وجعلت رئاسته إليَّ، جمعنا فيه ما خصصناه من مال من الرابطة وما حصلت عليه من تبرعات من محبي الخير في بلادنا، ذلك كان في الإتحاد السوفييتي حيث المسلمون كثير وإسلامهم عريق. بل مجدهم الإسلامي تليد.

وكان لا بد من النظر أيضاً في حالة الإخوة المسلمين في بلدان أوروبا الشرقية كلها وهي التي طلقت الشيوعية وبعضهم كان وضعه سيئاً كالمسلمين في تشيكوسلوفاكيا، وبالغ السوء كالمسلمين في ألبانيا وبلغاريا.

لذلك قررت الرابطة إرسال وفد برئاستي أيضاً إلى تلك الأقطار، وخصصنا لألبانيا رحلة خاصة، ومالاً مفرزاً لتشجيع الدعوة الإسلامية، ودعت المملكة العربية السعودية طائفة من الإخوة المسلمين من أهل أوروبا

الشرقية للحج ضيوفاً على المراسم الملكية كحجاج الإتحاد السوفيتي وألبانيا وبلغاريا أو على ضيافة رابطة العالم الإسلامي مثل البعثات الرسمية من الإدارات الدينية أو المشيخات في تلك البلدان.

وقررنا أن تشمل رحلتنا هذه مدينة برلين في ألمانيا بقسميها الشرقي الشيوعي السابق والغربي الحر المتقدم في كل شيء تأخر فيه الشيوعيون وبعدها تشيكسلوفاكيا والمجر ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا.

ولكننا أعدنا النظر في زيارتنا ليوغسلافيا بسبب الإضطرابات بل الحرب الأهلية التي نشبت بين الخرواتيين والسلوفيين من جهة والحكومة الإتحادية التي هي الصرب في حقيقة الحال لأنهم الذين يسيطرون عليها وعلى الجيش الإتحادي اليوغسلافي فأسقطنا زيارة يوغسلافيا وكانت هذه غلطة بصواب. لأن الأسبوعين الذين كنا قد خصصناهما لزيارة هذه الأقطار لم تكف لها كلها.

وفي كل هذه البلدان التي سبق أن ذكرت أكثرها في الزيارة الأولى من كتاب (خلف الستار العقيدي) كتبت مذكرات لم أتوسع فيها اعتماداً مني على ما سبق أن كتبته عنها، ولأنها بلدان معروفة صارت مفتوحة، وإنما هي مذكرات خفيفة تصلح أن يكون عنوانها (نظرة في شرق أوروبا) فهي إذاً قصة الرحلة في تلك البلدان وليست قصة البلدان نفسها لأن قصتها معروفة.

وكان رفيقا الرحلة الأخوين الكريمين الأستاذ حاتم حسن قاضي أحد كبار موظفي رابطة العالم الإسلامي وهو المسؤول فيها عن شؤون المنظمات والدراسات، والأستاذ رحمة الله بن عناية الخبير بشؤون المسلمين في شرقي أوروبا بالرابطة.

والله المستعان وعليه التكلان.

المؤلف

مكة المكرمة

محمد بن ناصر العبودي

تصدير

أدى انهيار الأنظمة الشيوعية في دول أوربا الشرقية إلى تحرر شعوبها من الحكم الماركسي المستبد، كما استعاد المسلمون قسطاً من حرياتهم الدينية وحقوقهم الوطنية، مما أوجد فرصاً جيدة للعمل الإسلامي لم تكن متوفرة من قبل في أكثر دول أوروبا الشرقية... ومع هذا فإن ظروف الإضطهاد وحياة الإنعزال التي عاشها المسلمون فترة طويلة تحت الحكم الشيوعي الذي صادر الأوقاف الإسلامية وأغلق المساجد، أو خربها وصادر مباني المدارس ومنع التعليم الإسلامي وأتلف الكتب الدينية ونكل بالمسلمين بسبب تمسكهم بالإسلام وممارستهم لشعائر الدين الحنيف، أدت إلى تزايد حاجة المسلمين الماسة إلى دعم شامل وضخم حتى يمكن تنشيط الحركة الإسلامية وتعزيزها وتصحيح مسيرتها بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف الإقتصادية السيئة التي تمر بها دول أوروبا الشرقية بصفة عامة وبالأخص المسلمين الذين أنهكتهم السياسات الجائرة الرامية إلى فشو الفقر والجهل بينهم تحتم تضافر جهود الهيئات والمنظمات الإسلامية في تقديم الدعم المطلوب للعمل الإسلامي وإنقاذ المسلمين من براثن هيئات التنصير التي تتربص بهم.

بيد أن انتشار الجماعات الإسلامية في دول أوروبا الشرقية واختلاف ظروف وجودها مع تباين سياسة حكومات دول أوروبا الشرقية يجب أن يؤخذ بعين الإعتبار عند وضع خطة تنشيط العمل الإسلامي في دول أوروبا

الشرقية التي يبلغ عددها سبعاً وهي يوغسلافيا - ألبانيا - بلغاريا - رومانيا - بولندا - تشيكوسلوفاكيا - المجر.

١ - المسلمون في يوغسلافيا:

يعيش أكثر من سبعة ملايين مسلم في يوغسلافيا ويتمركزون عموماً في ثلاث مناطق هي:

١ - جمهورية مقدونيا حيث يشكلون فيها نسبة ٥٠٪ من سكانها.

٢ - جمهورية البوسنة والهرسك حيث تبلغ نسبتهم ٤١٪ من سكانها.

٣ - إقليم كوسوفو في جمهورية صربيا فهم أكثر من مليون نسمة ونسبتهم ٨٠٪ من سكانه.

ويتعرض المسلمون عموماً إلى الإضطهاد والمظالم على يد الصرب الذين يسعون إلى بسط سيطرتهم الإستبدادية على جمهوريات الإتحاد اليوغسلافي الأخرى، كما يحدث الآن في جمهوريتي سلوفينيا وكرواتيا.

فقد ألغى الصرب نظام الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به إقليم كوسوفو الألباني المسلم وضموه عنوة إلى جمهورية صربيا، بدعوى أن كوسوفو جزء من صربيا وأن المسلمين الألبان يحتلونه، وعلى أثر ذلك قامت الحكومة الصربية بتسريح العمال والموظفين المسلمين من وظائفهم وإغلاق مدارسهم، وفرضت اللغة الصربية وألقت القبض على شخصياتهم وقتلت زعماءهم، وتعمل السلطات الصربية على صبغ هذا الإقليم الإسلامي بالصبغة الصربية، حتى فاقت المظالم التي يتعرض لها المسلمون الألبان حد التصور مما دفع بالبرلمان الأوروبي إلى إرسال وفد لتقصي الحقائق في كوسوفو في شهر مايو ١٩٨٩ حيث أكد الوفد حقيقة ما يعانيه المسلمون من ممارسات غير إنسانية.

وقد تابعت رابطة العالم الإسلامي قضية مسلمي كوسوفو باهتمام بالغ حيث قامت بالإجراءات التالية:

أ - بعثت الرابطة برقية إلى رئيس جمهورية يوغسلافيا الإتحادية الإشتراكية برقم ١/١٢٩٧/م وتاريخ ١٤١٠/٨/١ طالبته فيها بالنظر بعين العدل في تحقيق مطالب المسلمين وتوفير الحريات الأساسية لهم.

ب - كتبت الرابطة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي خطابها رقم ١/٤٦٧/م وتاريخ ١٤١٠/٢/٢٦ وأرفقت به تقريراً عن أحوال المسلمين في كوسوفو بيوغسلافيا، وطالبت بعرضه على مجلس وزراء خارجية الدول الإسلامية.

أما المسلمون في جمهورية البوسنة والهرسك فقد فاز حزبهم الإسلامي المعروف بإسم (حركة الجبهة الديمقراطية) فى انتخابات نوفمبر ١٩٩٠ وتولى رئاستها **الأستاذ علي عزت بيكويتش** وحصل الحزب الإسلامي على غالبية مقاعد برلمانها.

بيد أن الصرب الذين يعملون على استعباد المسلمين من جديد لأنهم يمثلون ٣١٪ من سكان جمهورية البوسنة والهرسك يسعون جادين لضمها بالقوة إلى صربيا. حيث قامت السلطات الصربية بتسليح أفراد الشعب الصربي داخل جميع جمهوريات الإتحاد اليوغسلافي وحرضتهم على المطالبة بالوحدة الصربية وإسقاط الحكومات غير الصربية. وفي الوقت الذي قامت فيه الدول الأوروبية بتسليح القوميات اليوغسلافية الأخرى مثل الخروات والسلوفينيين، فإن المسلمين وحدهم لا يجدون أي دعم دولي لهم، ولم يسمع صوت لمناصرتهم إلا في وسائل الإعلام الغربي التي أدانت انتهاك حقوق وحريات المسلمين الألبان في كوسوفو[1].

(١) بعد كتابة ما سبق قام الصرب بالهجوم الواسع بالأسلحة الثقيلة على جمهورية البوسنة والهرسك ولم تتحرك الدول الكبرى التي تدعي أنها أوجدت نظاماً عالمياً جديداً لا يستطيع القوي فيه أن يهاجم الضعيف دون أن يعاقب ويمنع من هجومه، وحتى الدول الإسلامية لم تزود المسلمين بالأسلحة الثقيلة المماثلة لأسلحة الصرب.

وفي جمهورية مقدونيا، ورغم أن رئيسها غير مسلم، يتمتع المسلمون بقسط كبير من الحرية الدينية حيث يوجد فيها ٤٥٠ مسجداً، يرتادها أبناء المسلمين للصلاة ولدراسة القرآن الكريم ومبادىء الإسلام، كما توجد مدرسة عيسى بك الثانوية الإسلامية في بلدة كتدوفا بالقرب من سكوبية عاصمة مقدونيا، ويدرس فيها ٢٠٨ طلاب منهم بعض الطلبة الألبان والبلغار أيضاً.... وكان البنك الإسلامي للتنمية بجدة قد ساهم في إنشائها بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دولار.

وكذلك أنشأت المشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا التي يرأسها الشيخ تحسين توفيق شركة تجارية باسم شركة فيركومزر بهدف القيام ببعض الأعمال التجارية والمقاولات وتشغيل المطاعم الإسلامية، حتى تستطيع بمردودها تأمين نفقات المساجد والمدارس.

ومع أن المسلمين يشكلون أكثرية نسبية في هذه الجمهورية حيث تبلغ نسبتهم ٥٠٪ من إجمالي أهلها إلا أن الصرب بتحريض السلطات الصربية يهددون أمن وأمان المسلمين في مقدونيا.

هذا وقد أفردت يوغسلافيا بكتاب عنوانه: «ذكريات من يوغسلافيا»هو مطبوع.

٢ ـ المسلمون في ألبانيا:

العزلة السياسية التي أفرط في فرضها أنور خوجة على ألبانيا بهدف صيانة استقلالها وحمايتها من الإعداء على حد زعمه ومقولته الشهيرة: إن الألبانيين سيأكلون العشب إذا دعت الحاجة، ولكن ألبانيا لن تركع أمام الرأسمالية، انتهت إلى خروج ألبانيا إلى الساحة الدولية وهي أكثر دول العالم حاجة إلى كل أنواع المساعدات إذا أريد لها أن تلحق بركب الشعوب، وهذا الشعب الألباني الذي يتطلع إلى العون لإنقاذه من المآسي التي يعيشها هو شعب مسلم في مجمله عريق في إسلامه، إذ يقدر نسبة المسلمين بحوالي ٧٥٪ من جملة تعداده البالغ ٤١٧ و١٨٣، ٣ نسمة مما

يفرض على الأمة الإسلامية أفراداً وحكومات واجباً إسلامياً لإنقاذ الألبان المسلمين من براثن المؤامرات التي تحيق بهم بمد يد الاخوّة الإسلامية بالعون والمساعدة اللازمة، حتى يستعيد الألبان المسلمون هويتهم وشخصيتهم الإسلامية التي حاربها الشيوعيون ولا يزال أعداؤهم يتربصون بها، وتعود ألبانيا إلى وضعها الطبيعي في مسيرة العمل الإسلامي الصحيح، ولعل من أهم شروط العمل الإسلامي هو أن يكون شاملاً وهادئاً حتى يؤتى ثماره في استثمار المناخ الملائم دون أن يثير أحقاد الشيوعيين الذين لا يزال نفوذهم في الحكم باقياً ولا يوقظ جزع القوى الصليبية التي دخلت البلاد تعمل وتراقب النشاط الإسلامي بحذر.

ومن أجل التغيير والإنفتاح الذي حدث في ألبانيا في أواخر عام ١٩٩٠، قام صاحب المعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي على رأس وفد إسلامي بزيارة ألبانيا فيما بين ١ - ٣ من ذي القعدة ١٤١١هـ حيث اجتمع بعدد من المسؤولين المسلمين وعلى رأسهم الرئيس رامز عاليا رئيس جمهورية ألبانيا وتدارس معهم احتياج العمل الإسلامي اللازم في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ ألبانيا، وقدم مساعدات جمة للجمعية الإسلامية الألبانية التي يرأسها الشيخ صبري إدريس كوتشي مفتي ألبانيا، كما قدمت رابطة العالم الإسلامي متمثلة في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية الكثير من الإعانات العينية من الغذاء والكساء والأدوية إلى المسلمين الذين تدهورت أوضاعهم الإقتصادية بسبب نظام الحكم الشيوعي.

كما قام كاتب هذه السطور محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد للرابطة بزيارة عمل لمسلمي ألبانيا في الفترة ما بين ٥ إلى ١٤ صفر ١٤١٢ حيث اجتمع برجال العمل الإسلامي وتدارس احتياجاتهم وقدم من الرابطة مساعدات مالية للأغراض التالية باسم رابطة العالم الإسلامي.

أ - لدعم أعمال الجمعية الإسلامية الألبانية.

ب - مبالغ لرواتب الأئمة والخطباء.

ج - إسهام لترميم ثلاثة مساجد أثرية كبيرة.

وعلى ضوء دراسة وفد الرابطة لأحوال المسلمين واحتياجاتهم وما يتطلبه العمل الإسلامي من دعم ومعونات فقد وضع المقترحات اللازمة لخطة العمل في المستقبل وجرى تنفيذ أكثر ما جاء في تلك الخطة[1].

٣ - المسلمون في رومانيا:

تقع رومانيا في شمال جزيرة البلقان وتبلغ مساحتها ٢٣٧ ٥٠٠ كم، كما يبلغ عدد سكانها ٢٣ ١٥٥ ٠٠٠ نسمة، ويتكون جلهم من الرومان ٨٠٪ ويليهم المجريون ٨٪ ثم الألمان ٢٪ وتعتنق الأغلبية المسيحية الأرثوذكسية ثم الكاثوليكية بالإضافة إلى أقلية يهودية. أما المسلمون فهم من التتار والترك والغجر، ولكن لا توجد إحصائية مؤكدة لهم، فالتقديرات الرسمية تعلن أن عددهم سبعون ألف نسمة وبعض الدراسات الإسلامية تشير إلى أن عددهم ١٢٠ ألف نسمة، ولكن المصادر التركية تفيد بأن عددهم ٣٢٠ ألف نسمة. ويعزى هذا الإختلاف إلى أن الحكم الشيوعي بسبب موقفه من الدين عموماً لا يصنف الناس حسب اعتقادهم بل حسب قومياتهم بالإضافة إلى أن عمليات الإضطهاد الوحشي التي نفذت ضد المسلمين أدت إلى إنكار جماعات منهم لأصولهم الإسلامية علاوة على أن مواليد الزواج المختلط لا يتم تسجيلهم إلا بالجنسية الرومانية.

ويرجع دخول الإسلام في رومانيا إلى نزول قبائل تركية يقدر عدد أفرادها بحوالي إثني عشر ألفا بقيادة ساري سالتوق داده إقليم دوبرجة عام ١٢٦٤ م. وكان هؤلاء الأتراك المسلمون هم أوائل سكان هذا الإقليم الذي لا يزال أغلب سكانه منهم. ثم فتح الأتراك العثمانيون رومانيا عام ١٥٤١ م وأخذ الإسلام ينتشر بين سكانه بفضل تسامح الإسلام وتحولت أسر بل قرى بأكملها إلى ازسلام وانتشرت المساجد والمدارس الإسلامية في أنحاء رومانيا خلال الحكم

(١) قمت بكتابة كتاب عن زيارتنا لألبانيا تلك بعنوان: «كنت في ألبانيا»، وقد تم طبعه.

العثماني الذي استمر إلى عام ١٨٧٨ م بيد أن القوى الصليبية في روسيا والنمسا أشعلت نيران الفتن والإضطرابات ضد الدولة العثمانية، وعملت على فصل منطقتي مولدافيا ولاشيا باسم رومانيا عنها بموجب معاهدة برلين عام ١٨٧٨ م، وخلال الحرب العالمية الأولى ضمت رومانيا إليها منطقة دوبرجة وقد مارست حكومة رومانيا الملكية بالإتفاق مع الكنيسة الأرثوذكسية سياسة إجبار المسلمين على الإرتداد عن الإسلام أو مغادرة رومانيا، كما صادرت أملاك المسلمين وأوقافهم كأوقاف الغازي علي باشا التي تقدر بثمانية آلاف هكتار في بابا داغ ثم جاء الحكم الشيوعي في رومانيا عام ١٩٤٧ م واتفق الشيوعيون مع الحاقدين الصليبيين من الأرثوذكس على تنفيذ إجراءات ضد المسلمين أكثر عنفاً.

٤ - المسلمون في بولندا:

يعود المسلمون البولنديون إلى أصول تترية استوطنت بولندا منذ أكثر من سبعمائة عام ويتمركزون في منطقة بياوستوك شمال شرق بولندا. ومع مرور الزمن وحياة الإنعزال تقلص عددهم إلى ثلاثين ألف مسلم، ويعيشون مندمجين في المجتمع البولندي.

ويشرف على النشاط الإسلامي مجلس الإتحاد الإسلامي الذي يرأسه السيد استيفان موخارسكي ويضم هذا الإتحاد ست جماعات إسلامية لهم مسجدان في بوخونيكي وسكوكا وفي بياوستوك ومسجد جديد في مدينة غدانسك، كما أن لهم مقابر إسلامية في وارسو وبياوستوك.

وهناك أيضاً مجلس سفراء الدول الإسلامية الذي يرأسه الأستاذ محمود فرغل سفير جمهورية مصر في بولندا ويشرف على نشاط المركز ومتابعته.

وقد قامت رابطة العالم الإسلامي بمتابعة العمل الإسلامي ودعم احتياجه حيث اسهمت مالياً في إتمام بناء المسجد في غدانسك، كما قامت بشراء (فيللا) وتحويلها إلى مركز إسلامي في وارسو عاصمة بولندا. كذلك

قدمت مساعدة مالية لشراء أرض في مدينة بياوستوك لبناء مركز إسلامي، وهناك إتصال مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة لتمويل بناء هذا المركز الإسلامي في بياوستوك، كما قدمت الرابطة مساعدة لمجلة الحياة الإسلامية التي تصدر باللغة البولندية في غدانسك.

ويمكنك إن أردت التوسع في معرفة أحوال المسلمين في بولندا، وأحوال تلك البلاد عامة أن تقرأ كتابي المطبوع عن بولندا بعنوان: «مع المسلمين البولنديين».

٥ ■ تشيكوسلوفاكيا:

تتكون تشيكوسلوفاكيا من اتحاد فيدرالي يضم جمهوريتي التشيك والسلوفاك ويبلغ سكانها ١٥ ٦٦١ ٠٠٠ نسمة ويدين السكان عموماً بالمسيحية ويشكل الكاثوليك ٧٠٪ والبروتستانت ١٥٪ من الأهالي، وهناك أقلية يهودية.

ويرجع تاريخ دخول الإسلام فيها إلى دخول القوات العثمانية لمنطقة سلوفاكيا عام ١٦٦٣ م ومنطقة مورافيا عام ١٦٨٣ م، وقد استمر الحكم العثماني فيهما أكثر من ٧٠ عاماً، مما ساعد على ظهور جماعات إسلامية ومساجد في هاتين المنطقتين اللتين لا تزال فيهما جماعات إسلامية حتى اليوم، ولكن لا يزيد عدد المسلمين التشيك والسلوفاك عن بضعة آلاف بالإضافة إلى الطلاب المسلمين ورجال السلك الدبلوماسي للدول الإسلامية في العاصمة براغ.

وتتمركز الجماعات الإسلامية في مدن برنو وبراتسلافيا وبراغ وينتظمون في اتحاد إسلامي يسمى مجلس الإتحاد الإسلامي لمسلمي تشيكوسلوفاكيا يرأسه حالياً الدكتور محمد علي الشلهاوي المقيم في مدينة تربيج.

لم يؤد زوال النظام الشيوعي فيها إلى تحسن النشاط الإسلامي كما كان متوقعاً بل يواجه المسلمون ضغوطاً حكومية في الوقت الحاضر،

وكذلك تتهرب حكومة تشيكوسلوفاكيا من الإعتراف بالجمعية الإسلامية التشيكوسلوفاكية رغم المطالبة الرسمية بذلك عدة مرات، وآخرها بتاريخ ١٩٩٠/٧٦/٢٢. ولكن المسلمين يبذلون جهودهم بالإستناد إلى القوانين والأنظمة في استصدار الإعتراف الرسمي بالدين الإسلامي وبالجمعية الإسلامية التشيكوسلوفاكية وخاصة أنها تأسست في السابق بقرار حكومي عام ١٩٣٣ م، ولكنها ألغيت عام ١٩٤٨، ورغم الصعوبات المالية والضغوط يتم طبع ونشر بعض المنشورات الإسلامية منها: معاودة إصدار نشرة (صدى) الإسلامية التي كانت تصدر في براغ عام ١٩٤٤، وكتاب (الإسلام في المهجر) باللغة التشيكية بالإضافة إلى نشرات إسلامية أخرى.

وقد قام وفد الرابطة الذي ترأسته بزيارة الجماعات الإسلامية واجتمع بشخصياتهم فيما بين ٢٧ ـ ٢٨ ذي الحجة ١٤١١ هـ، وقدم لهم مساعدات رمزية عاجلة من رابطة العالم الإسلامي ، وسيأتي ذكر الزيارة في هذا الكتاب إن شاء الله.

٦ ■ هنغاريا (المجر):

جمهورية هنغاريا وتعرف أيضاً محلياً ماغيار، ويشتق منه الإسم العربي (المجر) وتقع في وسط شرق أوروبا وتبلغ مساحتها ٩٣٠٣٦ كم٢ وهي بلاد صناعية حيث تشتهر بصناعة الحديد والصلب والآلات والسيارات وأجهزة الإتصالات، ويقدر دخل الفرد القومي بـ ٤١٨٠ دولاراً في السنة ويساوي الدولار الأمريكي ٧٥٠ فورنت وهي عملة البلاد.

وصل عدد سكان المجر إلى ١٠,٥٧١,٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٩ ويتكون من ٩٢٪ من المجريين و٣٪ من الغجر و٢,٥٪ من الألمان و٢,٥ عناصر أخرى. ويدين ٦٧٪ منهم بالكاثوليك و٢٥٪ بالبروتستانت. كما أن هناك أقلية كبيرة من اليهود.

ويرجع تاريخ دخول الإسلام في المجر إلى هجرة جماعات مسلمة من القبجاق والبلغار والقبار مع قبائل المجر نفسها من موطنها الأصلي

منطقة ايديل/ أورال إلى أوروبا في بداية القرن التاسع الميلادي ثم توطد الوجود الإسلامي إبان عهد الملك بيلا الرابع الذي سهل غزو دولة التون أورده - بتشجيع من أمه القبجاقية الأصل فأعلن عليه البابا نيقولا الرابع حرباً صليبية عام ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٨ م وانتهى الأمر بقتل الملك بعد ذلك بعامين وعادت هنغاريا إلى المسيحية، ولكن قد تمسك المسلمون بدينهم الإسلامي رغم معاناتهم من اضطهاد المسيحيين لهم ثم ما لبث أن نشط المسلمون في المجر خلال حكم الدولة العثمانية الذي دام ١٧٠ عاماً منذ أن سيطر الأتراك على بودابست عاصمة المجر عام ١٥٤٦ م.

وخلال الحكم العثماني انتشرت المساجد في كثير من المدن المجرية فقد كان في مدينة بودابست وحدها ٨٣ مسجداً منها جامع على الضفة اليمنى لنهر الدانوب يقع بجوار كاتيدرائية سانت أوغستين. وقد حوله المسيحيون إلى كنيسة مع الإحتفاظ بزخارفه ومئذنته الطويلة المخروطية التي نصب الصليب فيها مكان الهلال. ويقول الدكتور عبد الله عز الدين الطيب السوداني بأنه تمكن من تحديد مواقع ستة مساجد في بودابست كما يوجد عدد من المساجد التي حولها المسيحيون إلى كنائس أو متاحف في مدن بيج وشتولفايسن بورج وسترجوم وسزغند وايغر في جنوب المجر.

وقد تعرض المسلمون المجريون لعمليات التنصير الإجباري والإضطهاد ثلاث مرات في تاريخ المجر كالآتي:

الأولى - قبل الحكم العثماني على يد الملك كارل روبرت (١٣٠٨ - ١٣٤٢ م) الذي أجبر المسلمين على التنصر.

الثانية - بعد خروج العثمانيين على يد أمراء آل هابسبورغ وحلفائهم من ملوك النمسا الذين أعماهم التعصب المسيحي وحقدهم على الأتراك فأجبروا المسلمون على التنصر أو الهجرة من المجر.

الثالثة - خلال الحكم الشيوعي الذي حارب الأديان وخاصة الإسلام محاربة شرسة، بسبب تعاون الصليبيين واليهود الحاقدين على الإسلام معه.

كـان الشعب المجري من أوائـل الشعـوب التي حـاولت خلع نيـر الشيوعية والتبعية الروسية عندما حاول أمري ناغي رئيس وزراء المجر إجراء إصلاحات إقتصادية وسياسية لا تتفق مـع النظام الشيـوعي الذي يفـرضه الإتحاد السوفياتي على المجر. بيد أن نكيتيا خروشوف رئيس وزراء الإتحاد السوفياتي أمر الجيش الأحمر بغزو المجر وقمع تلك الحركة الإصلاحيـة بالقوة، واعتقل قادتها في ٤ نوفمبر ١٩٥٦ م. وأدى هذا التدخل العسكري إلى زيادة سخط المجريين على الروس الغزاة ونظامهم الشيوعي المتسلط. وقد لمس وفد الرابطة الذي زار المجر عام ١٤٠٥ هـ في الشعب المجري تطلعه إلى التغيير وكره الشيوعية علاوة على أن قاعدتها الصناعية وظروفها الإقتصادية أدت للإسراع في عملية الإنفتاح السياسي الذي عجل بانهيـار النظام الشيوعي.

وساعدت التغييرات السياسية الأخيرة وتطلع الحكومـة المجريـة إلى دعم اقتصادها على توطيد صلاتها مع دول الخليج العربي، كما ساعدت المسلمين على الإستفادة من قانون امبراطورية النمسا والمجر (التي ضمت بلاد البوسنة والهرسك) الذي تضمن بأن الدين الإسلامي دين معترف به رسمياً اعتباراً من تاريخ صدوره في ٣ أغسطس ١٩٣١ م وهو القانون الذي لا يـزال ساريـاً هناك حتى الآن. وبنـاء على ذلك تم تـأسيس الجمعيـة الإسـلامية المجـرية وتسجيلهـا قانـونياً في ١٩٨٨/٨/٢٥ م وأصبـح لهـا شخصية قانونية كما أصبح من حقها الكامل أن تتمتع بما تتمتع به الأديان الأخرى من حقوق في المجر.

الجمعية الإسلامية المجرية يرأسها الدكتور عبد الرحمٰن المهالفي وهو مجري أسلم حديثاً كما يقال بأن أعضاءها هم مواطنون مجريون مسلمون فقط، ولكن لا يعرف عن تشكيل هيئتها الإدارية إذ لا يوجد لها مقر في الوقت الحالي بعد أن تخلت عن مقرها في شارع لينين في بودابست.

كما أقام الطلبة المسلمون اتحاداً لهم يرأسه الأستاذ حماد الشريدة يتخذ مقره في بودابست عاصمة المجر ولأعضاء الإتحاد نشاط ملموس في

نشر الإسلام بين أفراد الشعب المجري، وهنـاك أعداد لا بـأس بها من المجريين المحليين الذين يعتنقون الإسلام وأكثرهم من الفتيات المجريات اللاتي وجدن في الإسلام الطمأنينة والعدالة والكرامة لهن.

وقد قمنا بزيارة المجر وذكرت ذلك في اليوميات.

٧ ■ بلغـاريــا:

بلغاريا إحدى دول البلقان تقـع في الجنوب الشـرقي لأوروبا على الساحل الغـربي للبحر الأسـود وتبلغ مساحتهـا ١١٠٩١١ كم² وهي بلاد زراعية، وبها ثروة حيوانية من الأغنام والأبقار، وتتمثل الثروة المعدنية في الرصاص والزنك والنحاس والحديد والنفط.

ويبلغ سكان بلغاريا ٩,٠٣٧,٠٠٠ نسمة، ينتمي أكثرهم إلى العنصر البلغاري الذي يستعمل اللغة السلافية ويدين بالمسيحية الأرثوذكسية وتزيد نسبتهم عن ٧٠٪ ثم الترك والغجر واليونانيين ويـزيد عـدد المسلمين عن ثلاثة ملايين نسمة ويتكونون من القوميات التالية:

الترك والتتار	١,٥ مليون نسمة
البوماك وهم البلغار المسلمون	مليون نسمة
الغجر	٧٠٠ ألف نسمة

ورغم كون المسلمين يشكلون ثلث سكان بلغاريا تقريباً إلا أنـه لا يوجد وزير منهم في حكومة بلغاريا كما أن عددهم في برلمان بلغاريا يصل إلى ٢٣ عضواً مسلماً فقط ويمثل حوالي ٥٪ من جملة أعضـاء البرلمـان البالغ عددهم ٤٠٠ عضو برلماني، وتعتبر الجماعة الإسلامية من الطبقات المتخلفة في مضمار العلم والتقنية.

ومنذ أوائل عام ١٩٩٠ شكل المسلمون برئاسة السيد أحمد دوغان حركة الحق والحرية Hak ve Ozgurlukler Hareketi، ويقال إن توجهات هذه الحركة الديمقراطية ليست إسلامية خالصة وإنما هي سياسية لأنها تضم

أعضاء غير مسلمين وإنما هدفها هو تغيير الحكم الشيوعي إلى نظام ديمقراطي شامل.

وتقلل المصادر الأوروبية من عدد المسلمين في بلغاريا فتشير إلى أن نسبة المسلمين هي ١٣٪ من جملة السكان.

والواقع أن عدد المسلمين في بلغاريا لا يقوم على إحصائية دقيقة للمسلمين وذلك لأن الحكومة الشيوعية لا تعترف بالأديان ولا تصنف الناس حسب انتماءاتهم الدينية وحتى التصنيف العرقي الذي كان معمولاً به في بلغاريا قد ألغي، ولم تعد القومية تدرج في الوثائق الرسمية منذ عام ١٩٧٥.

ويتخذ الباحثون والأحصائيون إحصائية عام ١٩٧١ م أساساً لتقديراتهم عن عدد المسلمين في جمهورية بلغاريا الشعبية وقد كان عدد المسلمين في تلك الإحصائية كالآتي:

الأتراك المسلمون	٨٨٠,٠٠٠ نسمة
البوماك المسلمون	٣٢٠,٠٠٠ نسمة
الغجر المسلمون	٢٤٠,٠٠٠ نسمة
التتار المسلمون	١٠,٠٠٠ نسمة
مجموع المسلمين	١,٤٥٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧١

ويقدر النمو السكاني في بلغاريا بنسبة تزيد ٢٪ سنوياً، بيد أن البحوث والدراسات أظهرت تزايداً كبيراً في عدد المسلمين، فمثلاً بلغت نسبة تزايد المسلمين من عام ١٩٤٩ ـ إلى عام ١٩٨١ (٥٣٪) من النمو السكاني بينما بلغ تزايد غير المسلمين خلال الفترة نفسها ١٥٪ من التزايد العام.

وقد كتبت كتاباً مفرداً عن بلغاريا تضمن المعلومات والمشاهدات المتعلقة بهذه البلاد وقد طبع في الرياض.

اليوميات والمشاهدات

الطريق إلى أوروبا الشرقية

يوم السبت ١٤١١/١٢/٢٤ هـ:

من جدة إلى فرانكفورت:

كان سفرنا إلى فرانكفورت مع طائرة شركة الخطوط الألمانية (لفت هانزا) وهي من طراز إيرباص المصنوع في أوروبا، وركبنا في الدرجة الأولى وهي مليئة بالركاب تماماً وكلهم من العرب إلا اثنين، وإن كانت غير واسعة وصادفنا فيها سفيرنا في ألمانيا الأستاذ عباس فائق غزاوي وهو صديق قديم اشتركت معه في مهمات رسمية أكثر من مرة، كانت إحداها عندما كان سفيراً للملكة في تشاد وسافرت إلى هناك في مهمة تتعلق بمركز الملك فيصل الإسلامي الذي كانت تقيمه المملكة وذلك عام ١٣٩٥ هـ.

ثم صدر أمر مجلس الوزراء بأن أشترك معه في بعثة إلى تشاد بعد ذلك بثلاث سنين وكان عمله قد انتقل أثناءها إلى وزارة الخارجية، ولكن المهمة لم تتم وذلك أننا عندما عزمنا على السفر إلى تشاد وحددنا موعده قامت اضطرابات هي مرحلة من مراحل الحرب الأهلية هناك، فعدلنا عن السفر لأنها لا تمكننا من عملنا الذي يتلخص في جولة في تشاد للإطلاع على ما تحتاجه من عون مالي وثقافي ناشىء عن الحرب الأهلية التي دمرت البلاد وأفقرت العباد.

ثم انتظرنا أكثر من سنتين حتى عادت فترة هدوء، لم نعلم أنها ستكون مؤقتة، وأبرقت السفارة السعودية هناك بأن الوقت مناسب لقدومنا،

وكان صديقي السفير الغزاوي آنذاك في جدة وأنا في الرياض حيث أشغل وظيفة (الأمين العام للدعوة الإسلامية) ومقرها الرياض فتواعدنا على اللقاء في قاعة الإستقبال من فندق مرديان في باريس.

ولكننا فوجئنا بالحرب الأهلية تستعر في عاصمة تشاد في ذلك اليوم نفسه دون مقدمات وبشكل أعنف مما كانت عليه في السابق وعرفنا أن السفارات الأجنبية ومنها السفارة السعودية أغلقت وأن السياسيين الأجانب الموجودين في انجامينا قد رحلوا منها بوساطة الفرنسيين.

فثنينا العزم عن السفر إلى تشاد لاستحالة القيام بالمهمة التي لم يكن فيها معنا أحد.

قامت الطائرة من جدة في الساعة الثانية والدقيقة العاشرة من بعد منتصف الليل الذي يسفر عن صباح.

الأحد ٢٥/١٢/١٤١١ هـ:

وذلك هو موعد قيامها بالضبط، لم تتأخر عنه دقيقة واحدة، وهذا شيء قليل الوقوع.

ذكروا التعليمات والإرشادات المتعلقة بسرعة الطيران باللغتين الألمانية والعربية من شاشة تلفازية مسجلة. ثم أعلنوا وقت الرحلة وطول المسافة بالألمانية أولاً ثم الإنكليزية فذكروا أنها إلى فرانكفورت ستكون ٥ ساعات و ٢٠ دقيقة دون توقف.

وكانت هذه المدة المعلنة ثقيلة علينا لأننا في الصف الأول من الدرجة الأولى وهو ضيق بالنسبة إلى طائراتنا السعودية الرحبة، وبالنسبة لطائرات الشركات العالمية العابرة للمحيطات. إذْ لا يكاد المرء يجد لرجليه مجالاً إذا مدهما مداً مستقيماً، وكذلك لا ينحني الكرسي الذي خلفه انحناءاً كافياً.

لذلك لم يكن الطيران مريحاً إضافة إلى أنهم قدموا الضيافة بعد طول إجراءات لا لزوم لها. والضيافة مقادير ضئيلة مما أسموه طعام البحر (سي

فود) ولحم ديك رومي نزر جداً ـ والبرد الشديد في الطائرة حتى أغطيتهم خفيفة ولكن نفعنا الله بالطواقي وضعناها على رؤوسنا لتقينا البرد النازل من السقف.

وكان النوم متقطعاً أيضاً.

أما المضيفات فكن من الألمانيات بطبيعة الحال ومعاملتهن جيدة، ولكن رغم المجاملة فإن في طبيعة حديثهن ومعاملتهن للركاب شيئاً من القوة تجدها في الألمان طبيعة لا تكلفاً.

في مطار فرانكفورت:

هبطت الطائرة في مطار فرانكفورت في الساعة السابعة والنصف صباحاً بتوقيت المملكة ويساوي السادسة والنصف بتوقيت ألمانيا.

ولم يكن من هدفنا زيارة فرانكفورت، وإنما كنا حجزنا إلى برلين بعد الوصول مباشرة لنسافر من هناك بعد إقامة قصيرة فيها إلى براغ عاصمة تشيكسلوفاكيا.

وبعد الدخول للمطار مع جيب طويل متحرك معتاد استمر سيرنا مع ممرات متحركة وعلى أقدامنا حتى وصلنا إلى مكاتب الجوازات ورأينا القادمين من دول السوق الأوروبية وغيرهم ممن لا يحتاجون إلى سمة دخول وهم يدخلون كالسيل دون توقف وإنما يرفع بعضهم بطاقة أو نحوها لا ينظر فيها الموظف المسؤول عن ذلك.

أما نحن فقد طلب الموظف منا أن نريه الجوازات فنظر فيها ولم يختمها، ولم نقف عنده إلا بمقدار دقيقة واحدة.

وهذا أمر عجيب في تساهلهم مع تشديدهم الحالي على القادمين من الدول التي يسمونها نامية، وقد كثر دخولهم أو تسللهم إلى ألمانيا، وبخاصة من الدول المضطربة أو التي كانت مضطربة كالعراق وإيران ولبنان والحبشة والصومال وأرتيريا، وترى أن هذه الأقطار كلها مسلمة أو أكثرية سكانها مسلمون كالحبشة.

والذي عجبت له ونحن نخترق قاعات المطار قبل الجوازات أنها كانت خالية على حين أنني كنت سافرت منها أو مررت بها وهي مزدحمة لا يكاد المرء يجد فيها موضعاً لقدمه، وذلك في المساء وآخر مرة عندما وصلت إلى مطار فرانكفورت من بروكسل وسافرت منه بعد ساعتين إلى ريو دي جانيرو في البرازيل.

وعند ضابط الجمرك لم ينظر إلينا الا نصف نظرة أو أقل وتجاوزناه دون أن يوقفنا.

إلى برلين:

ذهبنا مباشرة إلى مكاتب (لفت هانزا) في طابق أعلى من قاعة الوصول فوزنا فيها أمتعتنا وأخذنا بطاقات دخول الطائرة بالدرجة الأولى حيث تذاكرنا كذلك، ثم دخلنا إلى قاعة الترحيل قبل بوابة الخروج واجتمع الركاب فيها فوجدنا المسؤولين في الشركة أعدوا طعام إفطار بها على طريقة (اخدم نفسك) ولكنك هنا تأخذ ما شئت وتشرب ما استطعت وهو شطائر (ساندويتش) من الجبن والزبدة وفيه مربى وفاكهة وقهوة فأكل الناس وبعضهم أخذوا طعامهم معهم، وأكلنا قليلاً.

ثم كان الخروج إلى الطائرة وهي من طراز الحافلة الجوية. (ايرباص) والدرجة الأولى التي ركبنا فيها مؤلفة من صفين فقط فيهما ١٢ كرسياً، ومع ذلك فيها ٤ مقاعد خالية وهي في بلادنا تكون مؤلفة من ٤ صفوف أو خمسة وكلها مليئة في العادة مما يدل على أن الأوروبيين لا يقبلون على الركوب في الدرجة الأولى من أجل غلاء تذكرتها، ولأن الدرجة السياحية عندهم جيدة.

والطائرة مليئة بالركاب ولكن لاحظت من ألوانهم ولغاتهم أن أكثرهم ليسوا من الألمان، بل لا تصل نسبة الألمان فيهم إلى ٢٠٪ وإنما هم من الصفر والسمر وثلاثة أو أربعة من السود.

وهذا يدل على الإزدهار الإقتصادي التي تتمتع به ألمانيا فهم مثلنا في

هذا الأمر، حيث يؤلف الأجانب نسبة من ركاب الطائرات وبخاصة في الدرجة الأولى، وقد اتضحت حالة الجو الحار الجاف نوعاً ما من الأعشاب التي تحف بمدارج المطار إذ أكثرها جاف أو مصفر اللون.

وقد أخبرنا أن الحرارة الكبرى أمس كانت في برلين ٣٣ وحتى في هذا الصباح يشعر الإنسان بالحر لأن درجة الحرارة في فرانكفورت عند وصولنا مع طلوع الشمس كانت ٢٣، وقال لنا السفير السعودي في ألمانيا إن هذا جو عارض وإلَّا فإنه منذ أيام كانت درجة الحرارة الكبرى ١٤ وكان الجو بارداً مع مطر خفيف.

قامت الطائرة في الساعة الثامنة والدقيقة الثامنة عشرة قاصدة برلين، ومتأخرة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل بسبع دقائق، وهذا لا يعد تأخيراً يستحق الإعتذار عنه في عرف شركات الطيران العالمية.

وظهرت مدينة فرانكفورت في الجو متسعة المساحة، تحف بجهة منها منطقة من الغابات الكثيفة. وقد ذكرني ذلك بالمدينة نفسها عندما قدمت إليها عائداً من رحلة من الإتحاد السوفييتي في عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. ولبثت فيها أربعة أيام، ولم أحمد الإقامة فيها لأنني لم أجد فيها شيئاً يعنيني، وإنما هي مدينة مال وأعمال تجارية، أو هكذا رأيتها مع الغلاء في أسعار الفنادق والمطاعم آنذاك.

ثم صارت الطائرة تحلق فوق قلبها التجاري الذي يسمى الأمريكيون مثله (بالداون تاون) وهو ذو أبنية متعددة الطوابق، ضخمة تشبه الأبنية الضخمة في المدن الأمريكية المتوسطة.

بدأت المضيفات الألمانيات بتقديم الضيافة بسرعة وتلطف، ولكن في طبيعتهن شيء من الغلظة والشدة أو لنقل إرادة السرعة وإنجاز العمل وابتغاء أن يكون من يتعامل معهن مثلهن في السرعة والحرص على حفظ الوقت.

وأول ذلك الأشربة الثقيلة والخفيفة ثم طعام إفطار سخي لم نعرف أنه سيقدم لنا في الطائرة وإلا لما تناولنا شيئاً من قاعة المغادرة.

وجيوب المقاعد كطائرة البارحة من جدة إلى فرانكفورت مليئة فيها مجلة الشركة وبيان نوع الطائرة والإرشادات اللازمة في الطيران.

واللطيف في الأمر أنهم كتبوا بطاقة فيها رقم الكرسي بحروف كبيرة موضوعة فوقه، ولم يكتفوا بما اكتفت به الشركات الأخرى من كتابة ذلك بحروف صغيرة على الرفوف التي فوق المقاعد.

ثم صارت الطائرة تطير فوق ريف أخضر ترصعه قطع من الأراضي العارية من الحقول قد تركوا زراعتها لإخصاب الأرض. وقرى صغيرة جميلة محاطة بالخضرة.

والغريب أن اللغة الشائعة في الطائرة بين الركاب كانت الإنكليزية لأن أكثر الركاب هم من الأجانب وأغلبهم يتحدثون الإنكليزية فيما بينهم كما سبق.

وتكرر منا الشعور بجدية المعاملة الألمانية في الضيافة والمعاملة في هذه الرحلة، والرحلة الطويلة التي قبلها، وهي أنها منظمة مرتبة، ولكنها دون المعاملة الفرنسية في الذوق والترحيب بالضيوف.

بل إن كثيراً من الأمم التي كنت أكثرت من الركوب في طائراتها تفوق الألمان في المجاملة واللطف ويحضرني منها الآن البرازيل واستراليا وتايلند.

والمراد من ذلك المجاملة من القلب وإلاَّ فإنه لا تقصير لدى الألمان في الضيافة، وإنما طابع ضيافتهم كمعاملتهم هو الجد والغلظة التي لا تعني الجفاء، وإنما تعني عدم الرقة.

فوق مطار برلين الغربية:

عندما بدأت الطائرة في التدني وهي تتدلى كانت الأراضي تحتها ريفية واسعة يبدو عليها عدم العناية لأنها كانت من أراضي ألمانيا الشرقية الشيوعية قبل الإتحاد، فكانت مساحات الأراضي تبدو كبيرة، لأنها كانت أراضي حكومية تتخللها قرى صغيرة بخلاف ريف ألمانيا الغربية الذي رأيناه

عندما نهضت الطائرة من (فرانكفورت). ثم بدت ضواحي مدينة برلين ذات بيوت سقوفها حمر بهيجة المنظر، وبينها قطع من الغابات الملتفة على هيئة بقع صغيرة كما تبدو من الجو.

ثم كثرت أشجار الغابات بالقرب من المدينة وظهرت تجمعات مياه محدودة أشبه بالبحيرات الصغيرة.

وتعددت مداخن المصانع، وظهرت قناة مائية في ضاحية منها كأنها النهر الصغير يتخلل ضواحيها الغربية تحف بها أشجار كثيفة من أشجار الغابات.

في مطار برلين الغربية:

والقول في برلين الغربية والشرقية الآن هو اصطلاحي وإن كان حقيقياً في الأصل فالمراد ببرلين الغربية ما كان تابعاً لحكومة ألمانيا الإتحادية السابقة التي كانت تسمى ألمانيا الغربية وهي حرة غربية الموقع والمشرب والإتجاه، وببرلين الشرقية ما كان تابعاً لحكومة ألمانيا الشرقية الشيوعية التي تسمي نفسها ألمانيا الديمقراطية وهي أبعد ما تكون عن الديمقراطية التي تعني المحافظة على حقوق الإنسان، وكرامته الفردية.

وقد اتحدت ألمانيا الآن، وصار الكلام عن الشرقية منها والغربية كلاماً عن الماضي للتعريف والتوضيح فقط.

وما يحز في النفس في هذا المجال أنه في الوقت الذي كان فيه الألمان يتحدون وتدفع ألمانيا الشرقية للإتحاد السوفييتي ثمناً لذلك ألوف الملايين من الدولارات بحجة إسكان الجنود السوفييت العائدين إلى بلادهم، كنا نحن العرب ننفق أكثر من تلك المبالغ من أجل أن يقاتل بعضنا بعضاً. فكانت دول الخليج الغنية بالنفط تدفع عشرات (المليارات) من الدولارات للدول الغربية وبخاصة للولايات المتحدة الأمريكية من أجل أن تحارب العراق وتدمر قوته الحربية والإقتصادية حتى لا يفكر في الإعتداء على قطر آخر مثل اعتدائه على الكويت، مع أن الدول الغربية تفعل ذلك

انـطلاقاً من مصالحها الخاصة.

فكانت تلك الدول العظمى تأخذ مال العرب الأغنياء لتحطم به قوة العرب العسكرية فتكون النتيجة تحطيم القوتين العربيتين: قوة المال وقوة السلاح.

وهكـذا كان، ولا شـك أن اللوم لا يقع على دول الخليـج الغنية وإنما يقع بالدرجة الأولى على حاكم العراق الذي اختار لتجربة قوته أن يغزو الكويت في ظرف دولي غير ملائم. وفي مناخ عربي كان يتسم بالوفاق والوئام، فأوجد المبرر للتدخل العسكري الأجنبي في الخليج.

ولم يكن المؤلف يريد أن يذكر شيئاً عن هذا المـوضوع الشـائك المتشابك لولا أن أثارته رؤية هذه البلاد الألمانية التي توحدت بعد تفرق رغم خشية العالم كله مغبة وحدتها مرة ثانية، ومحاولته عدم تشجيع تلك الوحدة، ونحن العرب نتفرق رغم كون أوامر ديننا ومثلنا تـأمر بـالإجتماع والتعاون وكون تاريخنا حافلاً بأمجادنا إذا توحدنا، وبالعبر الناشئة عن تفرقنا كما حدث في الأندلس وفلسطين وغيرهما فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هبطت الطائرة في التاسعة والدقيقة الخامسة في مطار تيفيل في برلين الغربية بعد طيران استغرق ٤٧ دقيقة.

والمطار نفسه ليس كبيراً وإن كان طويل المدارج وقد أبـطأوا علينا بإحضار الأمتعة، ثم عند الخروج سألنا موظف من الجمارك عما تحتـويه حقـائبنا مـع أنهم لم يسألـونا مثـل هذا السؤال عنـدما وصلنـا إلى مطار فرانكفورت.

ثم ذهبنا نبحث في مكاتب المطار وأرجائه التي تبين أنها أنحاء واسعة متشعبة فهي على هيئة مربع مستطيل متصـل بعضها ببعض منهـا مكاتب الترحيل لشركات الطيران وحوانيت ومكاتب أخرى.

فحجزنا من مكتب هناك ثلاث غرف في فندق في قلب مدينة برلين الغربية بمائة وعشرة ماركات. ويساوي ذلك حوالي ٦١ دولاراً أمريكياً شاملاً طعام الإفطار كما نوهوا به.

مدينة برلين:

انطلقنا مع سيارة للأجرة كبيرة معدة لمثلنا إذْ كان عددنا ثلاثة، ولكن معنا حقائب وأمتعة كثيرة بحيث لا تحملنا سيارة أجرة صغيرة معتادة، فبدأت مدينة برلين من حين الخروج من المطار.

وقد بدت لنا ضواحي المدينة هذه معتادة ليس فيها ما كنا نتخيله من الفخامة الألمانية التي تغذيها القوة الإقتصادية الجبارة لألمانيا الغربية حتى وصلنا إلى مكان الفندق على شارع توتسنيق. فوق سوق تجاري ضخم.

ولم نجدهم جهزوا غرفنا فطلبوا منا الإنتظار بعض الوقت إلى حين خروج من كانوا فيها في الثانية عشرة ولكنهم لم يخرجوا حتى في ذلك الموعد فجهزوا غرفة واحدة استرحنا فيها كلنا إلى أن أفرغوا جميع الغرف.

والفندق ذو غرف واسعة جيدة، في الغرفة تلفاز كبير وثلاجة وشرفة واسعة، إلا أنه في منطقة مزدحمة فهو فندق عمل وليس فندق انتجاع وراحة، وما نحن هنا من طلاب الإنتجاع والراحة في الفنادق.

ولذلك كان مكتب الإستقبال في الفندق ضيقاً كما كان المطعم كذلك. فغرفه تعادل فنادق الدرجة الأولى أو تكاد، ومكاتبه ومطعمه كفنادق الدرجة الثالثة أو تكاد، وهو في أربعة طوابق، كل طابق منها على هيئة جناح له باب خاص يغلق على جميع الغرف، وله باب إضافي مربوط بمفتاح الغرفة يستطيع كل من يحمل باب الغرفة أن يفتحه به، ولكن الذي لا يكون من نزلاء الفندق لا يستطيع أن يدخل أي طابق من طوابق الفندق لأنه يحتاج إلى مفتاح.

كما أن باب الفندق مما يلي الأرض وهو الذي يصعد إلى الفندق من

مصعد في داخله لا يفتح إلا بذلك المفتاح الذي يفتح الطابق أو يدق جرساً على مكتب الفندق فيفتح له الباب بالكهرباء.

وهذا كله من باب الإحتياط للأمن وعدم إتاحة الفرصة لدخول غريب عن الفندق وأهله إليه.

وقد مضت سحابة هذا اليوم في النوم تعويضاً عن سهر البارحة وفي محاولة الإتصال بالمسلمين عن طريق العناوين التي نحملها، وقد كلمنا بعضهم فتم الإتفاق معهم على اللقاء غداً.

ثم تخلل ذلك تمشيات في الشوارع المحيطة بالفندق من وسط برلين الغربية التجاري، وكان المرور في هذه المنطقة كثيفاً رغم كون اليوم هو يوم الأحد، ولكن المنطقة مزدحمة بالسكان. فلاحظنا أن نسبة السياح الأجانب هي أيضاً كثيرة بين المارة، وإن كان وجود الألمان في الشوارع في يوم العطلة هذا ظاهراً.

وقد تخفف الناس من ملابسهم وبخاصة الشبان منهم حتى كادوا يخرجون منها إن لم نقل إنهم كادوا يخرجون من جلودهم، وذلك للحر الظاهر في الجو حتى إننا نحس به نحن الذين قدمنا من بلاد حارة غير أننا نكافح الحر في بلادنا بما أعطانا الله إياه من المكيفات والمبردات، والقوم هنا قد كيفوا بلادهم لتكون ملائمةً في البرد، لا في الحر. لذلك لم يكن في الغرف والمحلات العامة مراوح أو مكيفات أو أي شيء يكافح الحر.

في برلين الشرقية:

ركبنا سيارة أجرة إلى برلين الشرقية فلبثنا فترة نسير داخل برلين الغربية، وكان أهم ما رأيناه سور برلين الشهير الذي كان يفصل بين برلين الغربية وبرلين الشرقية، وقد أقامه الألمان الشرقيون ليحولوا به دون أن يهرب مواطنوهم من شيوعيتهم الفقيرة إلى ديمقراطية ألمانيا الغربية الغنية.

وقد هدم الآن وأصبح أثراً بعد عين إلا قطعة صغيرة وبوابة شهيرة كانت جزءاً منه.

وقد شعرنا بالنقلة فجأة من البرلينيتين - إن صح التعبير، فبينما كنا نسير في برلين الغربية إذ صرنا في برلين الشرقية وسط منازل قديمة ليس فيها محلات تجارية، ولا تدل على أي حركة اقتصادية فضلاً عن الرواج التجاري.

ويغلب على برلين الشرقية طابع القدم. لأن بناء المنازل والأبنية الكبيرة المتعددة الطوابق فيها قليل.

قصد السائق بنا فندق بالاس في ألمانيا الشرقية وهو يقول: الأسعار في برلين الشرقية لا تزال أرخص منها في برلين الغربية ونحن لا نصدق ذلك لأن الجميع دخلوا الآن في وحدة نقدية وسياسية.

وأخذ السائق أجرته ١٥ ماركاً ويساوي ذلك ٣٠ ريالاً سعودياً لمسافة غير طويلة.

وقد تناولنا العشاء في مطعم الفندق في خدمة جيدة وطعام لا بأس به أخذوا ثمنه ١٢٠ ماركاً للثلاثة أي ثمانين ريالاً لكل واحد.

ولم نجد في برلين الشرقية ما يغرينا بالبقاء حتى شوارعها تكاد تكون خالية من أول الليل، وعندما عدنا إلى برلين الغربية كانت الأسواق فيها مزدحمة والشوارع عامرة بالمارة.

ولم نجد أن وجودنا نحن العرب يسترعي انتباه أحد، وذلك لكثرة الأجانب في ألمانيا الذين كان بعضهم قد حضر للتجارة أو للسياحة أو لزيارة الأقارب أو كانوا من العاملين المقيمين فيها. ولاحظت أن أكثر الإزدحام كان على محلات بيع (الآيسكريم) في هذا الجو الحار مع أننا جربناه فلم نجده جيداً.

يوم الإثنين ٢٦/١٢/١٤١١ هـ:

الروح العلمية:

شاهدنا اليوم مثالاً صغيراً على محبة القوم للمعرفة، وتقريب المسائل العلمية المعقدة لأذهان الجمهور، فنحن نسكن في فندق يقع فوق جزء من سوق تجاري ضخم داخله عدة أسواق كبيرة وحوانيت مختلفة، وفيه عدة مطاعم ومشارب وسلالم كهربائية تنقل الصاعدين والنازلين، وكان من أهم ما استرعى انتباهنا فيه نماذج لحقائق علمية قديمة مصنوعة في ميدان مزهر من وسط هذا السوق بجانب نافورة وشلال اصطناعي صغير.

ومنها أنموذج زجاجي ملون لنظرية المياه المستطرقة ويرتفع إلى ما يقارب عشرة أمتار وترى المياه فيه صاعدة هابطة. وكذلك أنموذج لنظرية (نيوتن) في الجاذبية، ولاكتشاف أرخميدس في الهندسة وعدة حقائق علمية صارت الآن بديهيات معروفة ولكن القوم أرادوا تذكير الناس بها.

والعجب العجاب كثرة الناس من سائر الأعمار أمام هذه النماذج يسجلون حقائقها ويتأملون هيئاتها، في تزاحم عجيب حتى لا تكاد تجد لك موضع قدم بجانبها، وإنما كنا نطل عليها من طابق ثانٍ فيه مطعم فاخر، تناولنا الغداء فيه، وكان من أهم ما استرعى انتباهنا أن (السلطة) الخضراء قد وضعوا عليها لافتتين إحداهما تحتها صحن كبير كما ذكروه وإن كان

متوسط الحجم ثمنه ثلاثة عشر ماركاً ألمانياً أي ٢٦ ريالاً سعودياً والثاني تحته صحن صغير وعليه كتابة تقول إن ثمنه ثمانية ماركات.

والمراد بذلك أنك تستطيع أن تملأ أحد هذين الصحنين بالقيمة المذكورة إذا أردت من سائر السلطات الموجودة فيه وفيها بقول وخضرات متنوعة.

مطبعة القرآن الكريم:

زرنا بعد الظهر مطبعة للقرآن الكريم تطبع المصحف الشريف طباعة فاخرة مذهبة كنا رأينا نماذج من طباعتها في بلادنا وتنافس الناس في شراء المصاحف منها فزرناها من أجل ذلك ومن أجل كون القائم عليها هو الأخ (حسين أوزال) من أعيان الأتراك المسلمين هو من المهتمين بالدعوة الإسلامية.

استقبلنا الأخ حسين أوزال في بناء من عدة أبنية كتب عليه بالتركية (إتحاد) وهي الكلمة العربية بدون تغيير وتعني جمعية الإتحاد التي تشرف على هذه المطبعة وغيرها من المنشآت الإسلامية.

ومن ذلك أوقاف مجاورة لمبنى المطبعة كلها موقوفة على المسلمين.

وتقع في القسم الغربي من مدينة برلين على بعد (٥٠٠) متر من حدود برلين الشرقية، حدثنا الأخ حسين أوزال عن المطبعة فأخبرنا وهو يرينا مراحل طبع القرآن الكريم والآلات الضخمة التي أحضروها للتذهيب والتلوين.

فقال: أسست هذه المطبعة في عام ١٩٧٤م وبدأت فوراً بإصدار هذه الطبعة الفاخرة من القرآن الكريم وكنا نرسل مقادير كبيرة من النسخ إلى المملكة العربية السعودية فيساعدنا ذلك على السير بالمطبعة، غير أنه منذ سنتين أوقفت المملكة استيراد المصحف منا لكون مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة قد أخذ يطبع طبعات فاخرة وبمقادير كبيرة من المصحف الشريف ـ قال: ولقد أرسلنا قبل سنتين مائتي

نسخة إلى جدة إلا أننا فوجئنا بأنها أرسلت إلى إيطاليا حينما تلقينا طلباً باسترجاعها من هناك.

وذكر أن الأرباح التي جنوها من المطبعة قد اشتروا فيها هذه الأوقاف وهي الأبنية المحيطة بالمطبعة إضافة إلى بناء المطبعة نفسه المؤلف من أربعة طوابق وهو ملك للجمعية اشترته من أرباح المطبعة أيضاً.

وذكر الأخ حسين أوزال، أنه متفرغ لهذا العمل منذ مدة طويلة وأن العمل كان يدر أرباحاً جيدة ولا يزال يدر عليهم بعض الأرباح.

المسلمون في برلين الغربية:

يقع هذا المبنى في برلين الغربية كما تقدم ولذلك كان الحديث عن المسلمين في هذا الجزء من المدينة هو الواضح المعروف لأنه جزء من جمهورية ألمانيا الإتحادية التي هي دولة حرة.

قال السيد حسين أوزال: عندما قدمت لألمانيا قبل ٢٨ سنة لم يكن في برلين الغربية كلها مسجد مفتوح للصلاة، والآن فيها أربعون مسجداً ومصلى وهو المركز الإسلامي، أي المكان المستأجر ليكون مصلى ولكنه ليس على هيئة المسجد الذي له منارة وقبة، ويشغل بناء بني ليكون مسجداً. كما أن في ألمانيا الغربية كلها (١٢٠٠) مسجد في الوقت الحاضر.

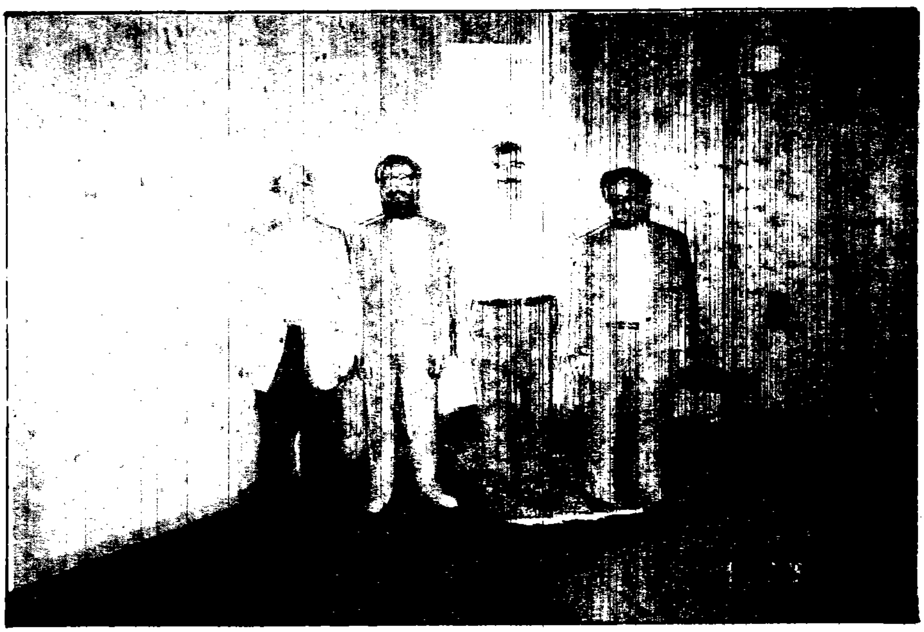
وحول عدد المسلمين قال: أول ما جئت إلى برلين لم يكن عدد المسلمين فيها يزيد على ثلاثمائة شخص، والآن من الأتراك وحدهم مائتا ألف مسلم ومن الباكستانيين حوالي خمسين ألفاً إضافة إلى العرب وغيرهم الذين أعدادهم أقل من ذلك.

وسألته بهذ المناسبة عما إذا كان حصل على الجنسية الألمانية فذكر أنه يستطيع الحصول على الجنسية الألمانية بسبب إقامته الطويلة فيها ولكنه قال متسائلاً: لماذا أغير جنسيتي؟ فقلت له: إن ذلك ليس مطلوباً من أجل تغيير الجنسية في حد ذاته فذلك أمر شكلي وإنما المراد أنك وأمثالك إذا

حصلتم على الجنسية الألمانية استطعتم تكوين خلايا إسلامية في هذا المجتمع المسيحي قد تتطور في المستقبل فتكون مجتمعاً مسلماً، وبخاصة إذا دخلت أعداد من الألمان جديدة في الدين الإسلامي كما هو مشاهد الآن.

مسجد النور:

صعدنا من الطوابق الثلاثة التي تشغلها المطبعة إلى الطابق الرابع الذي يقع فيه (مسجد النور) فوجدناه نظيف الفراش والأثاث فيه محراب ومنبر لصلاة الجمعة، وذكروا أن عدد الذين يحضرون لصلاة الجمعة يبلغ (٥٠) في المتوسط وأن لديهم درساً في المسجد في مساء الجمعة يحضره عادة (٧٠) منهم. يتدارسون فيه أمور دينهم.



في مسجد النور للأتراك في برلين.

والمسجد مكسوة جدرانه بالخشب الفاخر إتقاء للبرودة.

وذكروا أن لديهم فصلاً دراسياً فيه (٤٠) طفلاً يتعلمون أمور دينهم، وذكر الأخ حسين أنه على وجه التقريب يوجد في كل مسجد من مساجد برلين تعليم إسلامي قلَّ أو كثر.

وقال: يوجد الآن إقبال على الإسلام وصحوة إسلامية بين المسلمين حتى إن كثيرين لم يكونوا يصلون في الماضي صاروا يصلون الآن وبعض النساء صرن يتسترن بعد أن لم يكن كذلك.

مسجد الشهداء:

انتقلنا مع الأخ حسين أوزال بسيارة تابعة لجمعية الإتحاد التي تتبعها المطبعة، وتدير المسجد والأوقاف الإسلامية التي تتبعه إلى جامع قديم اسمه (مسجد الشهداء) وقد كتبوا عليه اسمه بالتركية (برلين ترك شهد لك جامع) أي جامع الشهداء الأتراك في برلين.

وهو ذو منارة تركية الطراز ترى شامخة على البعد، وقبة بارزة في شارع مهم يسمى شارع كولومبيا من حي (تمبل هوف) أقيم هذا المسجد في زمن السلطان عبد العزيز سلطان تركيا وذلك في عام ١٧٩٨ م.

وتقع حوله حديقة تظلها أشجار باسقة وتنمو أعشاب مختلفة وحشية ومزروعة في أرضها وفيها قبور عديدة

ذكروا أن من أهم المدفونين فيها قائد عسكري تركي (جنرال) اسمه طلعت باشا قتله الأرمن فدفن هنا.

وهذه المقبرة صغيرة وليست الوحيدة، بل هناك مقبرة واسعة للأتراك وغيرهم من المسلمين مع أن بعض الأتراك يفضلون أن يدفنوا موتاهم في تركيا فيرسلونهم بالطائرة إلى هناك.

تجولنا في حديقته التي فيها قبور كتبت شواهد بعضها بالعربية

وبعضها بالتركية المكتوبة بالحروف العربية قبل أن يغير الأتراك حروف لغتهم إلى اللاتينية.

ثم دخلنا إلى داخل المسجد فألفيناه نظيفاً غاية النظافة مفروشاً بفراش متكامل - وقد أخبرونا أن السفارة التركية في ألمانيا تعتني به فتدفع رواتب الإمام الذي يصلي فيه. تأتي إليها من إدارة الشؤون الدينية في تركيا.

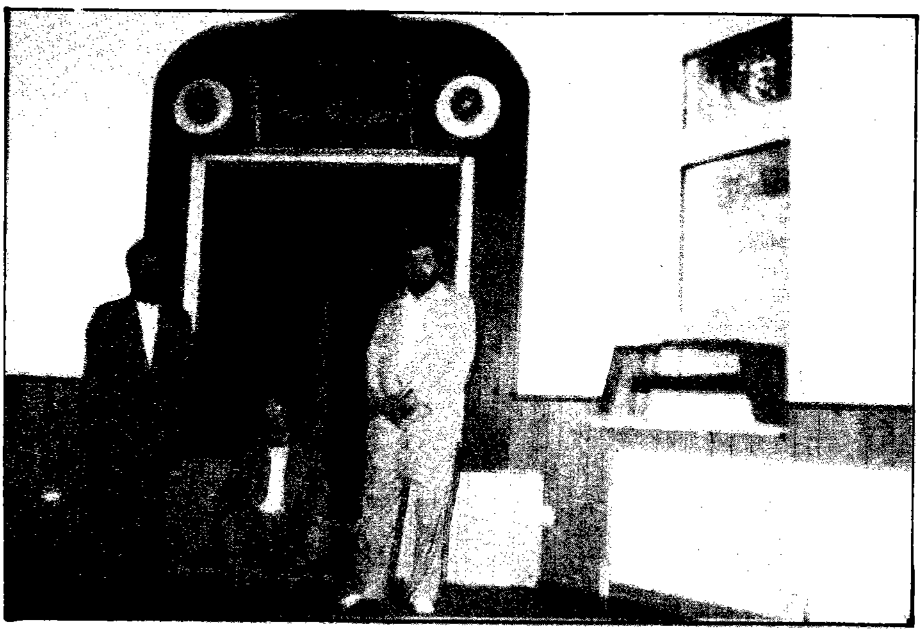


(مسجد الشهداء) في برلين

وأما المصاريف المتكررة من الماء والكهرباء ونحوها فإنها من تبرعات المسلمين التي تجمع في يوم الجمعة، قالوا: المشكلة الآن في المساجد المستأجرة يريدون الأماكن التي تؤجر لتتخذ مساجد. فهذه تحتاج إلى أجرة شهرية أو سنوية فهي تحتاج إلى المصاريف المتكررة

وقد أخبرناهم أننا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مستعدون للمساعدة على دفع أجرة المساجد المذكورة وعلى دفع المصاريف المتكررة لها.

ولكن لا نذكر أن أهلها كتبوا إلينا وأخبرناهم أنهم إذا كتبوا فإننا سنساعدهم، وعلى الأخوة الحاضرين أن يخبروا من يكون لديهم مسجد مستأجر بذلك ـ مع أن مرادنا أننا نسهم في دفع المصاريف المترتبة على المسجد ولا نتكفل بدفع جميع ذلك، ومن الأشياء الملفتة للنظر في هذا



في محراب المسجد التركي الكبير

المسجد أن المنبر واقع في زاوية بعيدة عن الزاوية التي يقع فيها المحراب.

وهذا أمر غير مألوف كما أن كون المحراب في زاوية من زوايا المسجد وليس في وسط حائطه الأمامي هو أمر غير مألوف أيضاً.

وقد رأيناهم كوموا كومة من الفرش في خارج المسجد في الفناء المكشوف الذي تبدأ به الحديقة، وذكروا أنهم يفرشون هذه الفرش يوم الجمعة حيث يمتلىء المسجد المسقوف بالمصلين فيضطرون للصلاة خارجه، ولا أدري ماذا يفعلون إذا كان الجو ماطراً، أو ثالجاً في الشتاء.

وهذه البلاد معروفة بكثرة ثلجها مثل بقية أقطار أوروبا الشمالية.

مسجد عمر:

اطلعنا على مسجد تركي قديم وعلى مصلى اتخذ مسجداً يديره ويصلي فيه الأخوة الأتراك وإن كان يصلي فيه معهم من يكون قريباً منهم من المسلمين من عرب وهنود كما قالوا، وأردنا الإطلاع على مسجد للعرب يعني أن العرب هم الذين استأجروه وأن الدروس والخطبة فيه تكون بالعربية لكون أكثر المصلين فيه من العرب وإن كان يصلي معهم فيه غيرهم أيضاً.

فذهبنا إلى (مسجد عمر) حيث ودعنا الإخوة الأتراك قبل الدخول إليه فوجدنا عليه لافتة بالعربية نصها:

(المركز الإسلامي، مسجد عمر، رابطة المسلمين في برلين، جمعية إسلامية مسجلة سنة ١٩٧٨ م، مدخل (الطابق الثالث هاتف........).

دخلنا إلى المبنى الذي فيه المسجد من مدخل يفضي إلى حوش أو فناء مكشوف فوق أول الدرج فيه لافتة كبيرة بالعربية أيضاً (مسجد عمر، رابطة المسلمين).

ثم صعدنا الدرج إلى الطابق الثالث من مبنى قديم ليس فيه مصعد مثل المبنى الذي يشغله مسجد النور الذي سبق ذكره.

وهو درج صعب المرتقى على الشيوخ، أو الذين يعانون مشكلات في قلوبهم، فوجدنا المسجد في قاعة واسعة أعتقد أنها كانت عدة غرف أزيل ما بينها من الحواجز أو كانت قبل ذلك مكان اجتماع مهم فلم نجد من يعرف ذلك بين الموجودين فيه.

كان وصولنا إلى المسجد في الثامنة مساءً أو لنقل عصراً فهو الصحيح هنا لأنه في الساعة الثامنة يكون قد بقي على غروب الشمس ساعتان إلا ثلثاً.

فوجدنا أن مظهر الترتيب والنظام في مسجد الأتراك أحسن منه في هذا المسجد الذي أسماه الأتراك مسجد العرب، فالأحذية موضوعة عند الباب دون نظام، وفيه كتب موضوعة دون ترتيب في رفوف في أحد زوايا المسجد.

وجدنا في المسجد ما سرنا وذلك في درس إسلامي على هيئة حلقة ضمت خمسة وثلاثين شاباً ومعهم بعض الأطفال الذين حضروا إلى المسجد مع آبائهم لسماع الدرس.

والدرس باللغة العربية لأن الإخوة الحاضرين كلهم من العرب ما عدا شخصاً عليه مظهر الباكستانيين ولكنه يعرف العربية.

والدرس عميق جداً يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى وبأفعاله التي كلها لحكمة ظاهرة أو خفية، كما تضمن جملة في محاسبة النفس.

وكان يقوم بالدرس أحد الإخوة المتبرعين وهو شاب ذكروا أنه من لبنان وقال لنا: إنه فلسطيني من لبنان.

وقد أخذ هذا الشاب الذي تبين أنه مثقف ثقافة إسلامية جيدة، يفسر آيات من القرآن الكريم تفسيراً جيداً يدل على علم وفهم واسمه ياسر داود.

جلسنا بجانب الدرس دون أن نسلم على المدرس أو على القوم إلاَّ على الشخص الذي كان يلينا في الجلوس لئلا نشوش عليهم.

وكان الجو حاراً في هذا الأصيل البرليني الصيفي بحيث أن الإخوة

الحاضرين كان يخرجون مناديلهم من جيوبهم يمسحون بها العرق عن وجوههم وأجسامهم.

وذلك لأنه لا توجد مراوح في المسجد وكان الهواء داخله راكداً.

والمسجد مفروش بفراش كافٍ من سجاد صوفي مستطيل جداً، ليس بفاخر، انتظرنا فترة في الحلقة، حتى انتهى الدرس فسلمنا على القوم وأخبرناهم أننا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وطلبنا منهم أن يحضروا إلينا رئيس جمعية المسجد حتى ننظر في تقديم مساعدة له فأخبرونا أنه غير موجود وقال أحدهم: إن جمعية المسجد لم تطلب المساعدة من أحد حذراً من أن تكون تلك المساعدة مقابل الإلتزام بشيء

فقلت له: إننا من رابطة العالم الإسلامي ونحن نقدم مساعدات مالية للإخوة المسلمين ولا نطلب مقابل ذلك الإلتزام بأي شيء، إلا أن تصرف تلك المساعدة في العمل الذي قدمناها له ـ وبإمكانكم إذا قدمت إليكم مساعدة وطلب منكم التزام في مقابلها أن تقبلوا المساعدة وترفضوا الإلتزام.

ثم أخبروني أن المسجد مستأجر، وأن التكاليف الشهرية لأجرته وما يصرف عليه من نفقات التدفئة والماء تبلغ حوالي ثلاثة آلاف مارك ألماني في الشهر أي حوالي ألف وستمائة وخمسين دولاراً أمريكياً. ولم نجد وسيلة لإعطائهم أية مساعدة مالية إذْ لا يوجد رئيس الجمعية ولا محاسبها، وذكر لنا الموجودون في المسجد أن الجمعية دأبت على الإكتفاء بتبرعات أعضائها وغيرهم من الأفراد المحتسبين وحدثونا أن المسجد يمتلىء بالمصلين يوم الجمعة حتى يضيق بهم، بحيث أنه يصلي معهم أكثر من ثلثمائة، وأن هناك تعليماً إسلامياً للأطفال والكبار في المسجد.

هذا وقد رأينا بعضهم يصلون العصر قبيل التاسعة إذ لا تزال في الوقت بقية لأن هذه الأيام من شهر يوليو هي من أطول الأيام في السنة كما هو معروف.

وقد ودعناهم دون أن نجد أنهم قد فرحوا بوجودنا معهم، أو حاولوا الإستفادة منه.

ورأينا بجوار المسجد الذي هو كما قلنا مستأجر لافتة بالعربية تقول (مركز أنصار الإسلام).

ووجدنا المكان مغلقاً فلم نستطع معرفة شيء عن (أنصار الإسلام) هنا ـ وينبغي ملاحظة أن مسجد عمر ولا ندري أي عمر يريدون فهم لم يسموه (مسجد عمر بن الخطاب) فيما قرأناه عليه ولا فيما سمعناه منهم. يشغل طابقاً واحداً هو الثالث من أربعة طوابق مشغولة بمستأجرين آخرين.

وهذا أمر مؤسف إذْ ينبغي أن يكون للصلاة مسجد مستقل يكون بمنارته وقبابه مظهراً من مظاهر الوجود الإسلامي في هذه البلاد.

وقد قلنا للموجودين في هذا المسجد: إن كثيراً من الإخوة المسلمين في المهاجر قد حصلوا على أراضٍ من الدولة التي يقيمون فيها بالمجان، أو بثمن ميسر، ثم جمعوا منهم ومن غيرهم ما تمكنوا به من بناء مسجدهم.

ونحن نخبرهم أننا من رابطة العالم الإسلامي، نساعد على بناء المساجد، ولكن يجب أن تكون المبادرة منهم، فلم نجد عند من كلمناه منهم أي تجاوب في هذا الموضوع.

ولو كان سفراء دول العالم الإسلامي في ألمانيا وهم كثر قد تعاونوا على بناء المساجد من حكوماتهم ومن ذوي الثراء والخير من شعوبهم لكفوا عامة المسلمين هذه المعاناة من نقص المساجد والمراكز الإسلامية، وذلك أمر بحساب الأرقام عليهم يسير. ولكن المهم هي الإرادة الصادقة الجازمة، لذلك ﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.

المسلمون في ألمانيا:

تفيد المعلومات بوجود جماعات إسلامية في الجزء الشرقي في برلين ولكن لا يعرف عددهم بالضبط وإن كانت بعض المصادر تقدر عددهم ما

بين ٥ ـ ١٠ آلاف مسلم وأغلبهم من الطلاب والعمال المسلمين من الجزائر وفلسطين وباكستان. ولم يتمكن المسلمون أثناء الحكم الشيوعي من إيجاد تنظيم أو مسجد لهم. بل صادر الحكم الشيوعي المسجد الوحيد الذي بناه الملك فردريك ويلهام الأول في ضاحية بوتسدام Postsdam عام ١٧٤٠، وهناك محاولة لاستعادة هـذا المسجد وتم إرسـال مبلغ ٦٥٠٠ دولار إلى بعض الشخصيات المسلمة نفقات للمطالبة باستعادة هذا المسجد. كما أن السفير المصري مصطفى أحمد حنفي في ألمانيا الشرقية تولى مشروع بناء مسجد في برلين الشرقية وتبرعت له الحكومة المصرية بمبلغ ثمانية آلاف دولار عام ١٩٨٨ م... ولكن لا يعرف ما انتهى إليه المشروعان.

مدينة برلين:

بعد هزيمة أدولف هتلر في الحرب العالمية الثانيـة واحتلال قـوات الحلفاء لألمانيا أقام الإتحاد السوفياتي في الجزء الشرقي الذي احتله حكماً شيوعياً عميلاً، وصارت برلين مقسومـة إلى جزئين شـرقي وغربي يفصـل بينهما حائط مكهرب لاصطيـاد كل من يحـاول الفرار من الجـزء الشرقي الشيوعي إلى الجزء الغربي الحر... وعقب انهيـار الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية مؤخراً اتحد شطرا المانيا. وفي ٣ أكتوبر ١٩٩٠ عادت برلين مدينة موحدة متصلة بعد إزالة الحائط الذي ظل يقسم شطريها ٢٨ عاماً، ولكن رغم اختفـاء الحائط فـإن المرء الـذي أضحى يتنقل بسهـولـة بين الشطرين يلمس بوضوح مدى الفرق الحضاري بين الجزئين الذين يسكنهما شعب واحد ذو ثقافة وتاريخ متصل مشترك عام ولكن تباين مظاهر التمدن يرجع إلى اختلاف نظام الحكم الذي سيطر على كل جزء على حدة.

يقدر سكان مدينة برلين المتحدة بحوالي ٣,٤٠٠,٠٠٠ نسمة. كما تقدر السلطات الرسمية عدد الأجانب بحوالي ٢٧٣,٠٠٠ نسمة في الجزء الغربي، ومنهم ١٢٠,٠٠٠ نسمة من الأتراك و٣١,٠٠٠ من اليوغسلاف، ويشكل المسلمون عموماً أكبر نسبة من الأجانب وخاصة العمال. ويتمركز الأتراك بشكل خاص في حي نيوكولن Neukolln حيث تصل نسبتهم إلي

٢٨٪ من سكان هذا الحي الذي يعرف بين الناس بمدينة استانبول الصغرى.

وفي الواقع يمثل العمال المسلمون أكبر جالية أجنبية في ألمانيا. كما إن الإسلام يعتبر ثالث ديانة بعد البروتستانت والكاثوليك في ألمانيا إذ قدر عدد المسلمين بحوالي ١,٧٥٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٨ منهم:

الأتراك	١,٥١٠,٧٨٠
يوغسلاف	١٠٠,٠٠٠
مغاربة	٤٠,٠٠٠
إيرانيون	٢٢,٠٠٠
تونسيون	٢١,٠٠٠
جزائريون	٥,٠٠٠
فلسطينيون	٤,٠٠٠

ويتمركز المسلمون بشكل عام في المدن الصناعية مثل برلين وكولن وهامبورغ ودويسبورغ وميونيخ وفرانكفورت حيث لهم مراكز وجمعيات إسلامية ومساجد ومقابر خاصة. ومع أن صلة الألمان بالمسلمين دبلوماسياً تعود إلى الإتصال الذي تم بين الخليفة العباسي وملك المانيا في العصور الوسطى، ثم تطورت عبر العهود وتوثقت مع الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى. كما عقدت هيئات وشخصيات إسلامية مثل الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين السابق علاقات قوية مع ألمانيا النازية بل عمل أعداد كبيرة من المسلمين في الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية... ولا يزال المسلمون حالياً يسهمون في البناء الإقتصادي الألماني... إلا أن هذا كله لم يؤد بالحكومة الألمانية للإعتراف بالدين الإسلامي اعترافاً رسمياً وإن كانت لها إسهامات مادية محدودة في بناء المساجد وترميمها.

إن هذا الموقف الحكومي الألماني يحرم حوالي نصف مليون طالب

مسلم من دراسة العلوم الإسلامية في المدارس الرسمية. وفي عام ١٩٨٦ قدر عدد الطلاب المسلمين الأتراك فقط في مدارس ألمانيا كالآتي:

المدارس الإبتدائية	١٠٥ ٢٦٩	طالباً
المدارس المتوسطة	١٨ ٨٢٤	طالباً
المدارس الثانوية	١٣ ٢٠٥	طالباً
المعاهد والجامعات	٥٨ ٩٥٥	طالباً

ويعتبر موضوع الإعتراف الحكومي بالدين الإسلامي موضوعاً حيوياً للمسلمين في ألمانيا لأن ذلك سيؤدي إلى إمكانية تدريس العلوم الإسلامية لأبنائهم في المدارس الرسمية كما سيدفع بالحكومة الألمانية إلى تحمل رواتب مدرسي الدين الإسلامي وأئمة المساجد وإمكانية حماية حقوقهم الثقافية والإسلامية.

وإذا كان موضوع الإعتراف بالدين الإسلامي ذا أهمية في حياة المسلمين في ألمانيا فإن مسألة الثقافة الإسلامية ذات أهمية بالغة لحماية المسلمين من الضياع والإنصهار في المجتمع المسيحي الألماني الأكثر عدداً والأغنى مالاً وقوة.

إن الإهتمام بتوعية المسلمين بتعاليم دينهم وتربية أبنائهم على مبادىء الإسلام والإهتمام بوسائل الثقافة والإعلام الإسلامي للمسلمين في ألمانيا لا يؤدي إلى حماية المسلمين من التأثر والإندماج في المجتمع الألماني المسيحي فحسب بل سيؤدي إلى توضيح الصورة التي يعمل الأعداء على تشويهها ويكشف حقائق الإسلام وفضائله للألمان ويعزز مكانة المسلمين في ألمانيا.

والقضية التي يواجهها المسلمون هو كثرة الجمعيات والجماعات الإسلامية التي تضرب وحدتها وتعاونها الإختلافات السياسية والنعرات القومية وتؤدي إلى تبديد جهودها وانشغالها بالتناحر بدلاً من التعاون والعمل المشترك ولا يمكن علاج ذلك إلا بإنشاء اتحاد عام أو مجلس تنسيق لكل الجمعيات والهيئات الإسلامية في ألمانيا.

يوم الثلاثاء ١٤١١/١٢/٢٧ هـ:

مغادرة برلين:

ودعنا أهل فندقنا فندق توتسينق شاكرين لهم حسن معاملتهم وركبنا سيارة أجرة حملتنا من وسط برلين الغربية إلى مطار (شوين فليت) في برلين الشرقية وكان مطار برلين الشرقية في وقت الشيوعية.

فاخترقنا قلب برلين الغربية ثم ضواحيها الواسعة وهي كلها تكاد تكون أوروبية معتادة غير متميزة بشيء في نظرنا.

وامتد سير السيارة فيها حتى وصلنا حدود برلين الشرقية قبيل المطار بقليل، فكان الإختلاف ظاهراً في حالة الأرض فهي في برلين الغربية مغمورة بالمساكن والأبنية العالية والمتاجر، وفي برلين الشرقية من هذه الناحية بقيت أرضاً خلاء ريفية مكسوة بحشائش وحشية كثيفة غير مهذبة أي أنها مما نبت عفواً ولم يزرع فضلاً عن كونه لم يهذب، وشيء آخر ظهر فيه الإختلاف وهو الطريق الإسفلتي فكان في برلين الغربية معتاداً كما تكون الطرق في بلادنا وفي البلدان الأوروبية وعندما دخل في منطقة برلين الشرقية ساءت حاله حتى أصبحت السيارة تقرقع فوقه وتهبط وترتفع ولم يكن يسمع لها صوت من قبل إلا صوت محركها.

وتقاضى السائق أجرته إلى المطار (٤١) ماركاً ألمانياً وهو مبلغ كبير

بالنسبة إلى ما نعرفه من أجرة الخروج إلى المطارات في بلادنا، ولكن المسافة بعيدة وأجرة سيارات الأجرة غالية، مع العلم بأن السائق هو من مواطني برلين الغربية أخبرنا بذلك مع أنه ظاهر من حجم سيارته التي لم يكن مثلها يحصل لمواطني برلين الشرقية قبل الوحدة، بل رأينا سيارات الأجرة عندهم صغيرة حقيرة أكثرها من طراز لادا الروسي الذي هو (فيات) الإيطالي بعد تحويره دون تطوير، وصنعه في الإتحاد السوفييتي وبعض الدول الأوروبية الشيوعية.

وجدنا المطار الذي كان شيوعياً صغيراً لا يليق أن يكون مطاراً لدولة ألمانية يزيد عدد سكانها على عشرين مليون نسمة، ولكن هذه هي سمة الحياة في البلدان الشيوعية أن تكون متقشفة لا يستطيع الناس فيها أن يسافروا بالطائرة ما عدا الإتحاد السوفييتي الذي لا بد للناس من السفر بالطائرات لاتساع بلادهم، وصعوبة الوصول إليها بالطرق البرية ولذلك جعلوا تذاكر السفر فيها رخيصة رخصاً بالغاً.

وقد ذكرت ذلك في كتبي التي كتبتها عن الإتحاد السوفييتي مثل (زيارة للمسلمين في الإتحاد السوفيتي)، و (الرحلة الروسية) و (يوميات آسيا الوسطى) ويمكنك أن تقرأها إذا أردت المزيد من المعلومات عن قصة رحلاتي فيها.

والأمر الشاق في هذا المطار أن مكاتب الترحيل فيه في طابق علوي يوصل إليه من درج عال طويل مما جعلنا نتساءل عن كيفية الوصول بالأمتعة إليها فدلونا على مصعد واسع صعدنا معه ـ وقد لاحظنا البطأ في الإجراءات حتى إنه لم يكن أمامنا إلا خمسة أشخاص واستغرق ترحيلهم أكثر من ثلاثة أرباع الساعة، ثم تعطل السير الذي توضع عليه الأمتعة فيدخلها إلى داخل المطار في المكتب مما اضطرنا إلى الذهاب إلى مكتب آخر.

وعند ضابط الجوازات وقفنا طويلاً وهو يقلب الجواز وينظر فيه وفي سمة الدخول ثم ينظر إلى الصورة ويقارنها بصورة حامله عدة مرات.

مع أن ضابط الجوازات عند القدوم لم يبقَ جوازاتنا عنده إلا أقل

من نصف دقيقة للثلاثة، وفي الأمر دخول إلى ألمانيا وهو أصعب في الإجراءات من الخروج منها.

ولكن هذا الضابط هو من بقايا العهد الشيوعي الذي يتسم بالبطأ والتردد والشك في الأجانب. واحتجنا إلى شيء خفيف من الطعام نتبلغ به فوجدنا محلاً صغيراً في داخل المطار أي في منطقة المغادرة ليس فيه كراس ومع ذلك كان غالياً جداً.

وأجمل ما في هذا المطار الذي كان شيوعياً فصار مع دولته ديمقراطياً لاتحادها مرة ثانية مع شقيقتها الألمانية الغربية هو الحمامات فقد وجدناها نظيفة جداً حديثة جداً في كل حوض من أحواض غسل الأيدي صنبوران يخرج كل واحد منها دفقة من الماء تستمر إحداها أطول من الأخرى ولا يسيل منهما الماء بدون انقطاع كما هو عندنا.

وذلك منهم من باب توفير الماء ونحن أحق بذلك منهم ـ لأننا نبذل جهداً في تحلية المياه وجلبها للمدن أكثر مما يبذلونه.

ولا شك في أن الحمامات هذه مجددة بعد الوحدة مع ألمانيا الغربية، لأننا عهدنا المراحيض و(دورات المياه) في البلدان الشيوعية تكون من القذارة فوق ما يتخيله الإنسان المتمدن، وأما هذه فإنها جديدة وفي غاية النظافة مما يدل على أن تجديد المطار بدأ بها.

إلى تشيكسلوفاكيا

تشيكوسلوفاكيا

تشيكوسلوفاكيا تتكون من إتحاد فيدرالي يضم:

* جمهورية التشيك عاصمتها براغ ومساحتها ٧٨٨٦٤ كم٢ ويمثل التشيك ٦٤٪ من مجمل سكان تشيكوسلوفاكيا.

* وجمهورية السلوفاك وعاصمتها براتسلافا Bratislava ومساحتها ٤٩٠٢٥ كم٢ ويمثل السلوفاك ٣١٪ من إجمالي السكان البالغ عددهم ١٥,٦٦١,٠٠٠ نسمة.

وتشيكوسلوفاكيا بلاد صناعية تشتهر بصناعة الزجاج والأواني الخزفية والآلات الهندسية والسيارات والمنسوجات والكيماويات كما تنتج القمح والشوفان والذرة والبنجر وثلث مساحة البلاد غابات تنتج أخشاباً ذات أهمية اقتصادية كبيرة في الدخل القومي وكذلك يستخرج الفحم والحديد... ويبلغ متوسط دخل الفرد ٨٣٠٠ دولار في السنة والدولار يساوي ٣٠ كورناً تشيكياً.

ويدين سكان تشيكوسلوفاكيا عموماً بالمسيحية ويشكل الكاثوليك ٧٠٪ والبروتستانت ١٥٪ من الأهالي، وهناك أقلية يهودية، ويرجع تاريخ دخول الإسلام إلى غزو القوات العثمانية لمنطقة سلوفاكيا عام ١٦٦٣ ومنطقة مودافيا عام ١٦٨٣ م، وقد دام الحكم العثماني فيهما أكثر من ٧٠ عاماً مما ساعد على ظهور جماعات إسلامية ومساجد في هاتين المنطقتين اللتين لا تزال فيهما جماعات إسلامية حتى اليوم ولكن لا يزيد عدد المسلمين التشيك والسلوفاك عن بضعة آلاف من الأشخاص.

من برلين إلى براغ:

وكدت أقول من برلين الشرقية لأن هذا هو الواقع في السابق، وهذه الطريق الجوية هي التي كانت تربط ألمانيا الشرقية الشيوعية بشقيقتها في المذهب تشيكوسلوفاكيا ـ ولكنها الآن صارت (برلين) دون وصف بالشرقية أو الغربية غير أن المطار هو المطار الشرقي القديم.

كان سفرنا مع شركة الطيران التشيكية المسماة (أوكي فلايت) أي طيران أوكي.

وقد قامت طائرتها من مطار برلين في الساعة الثالثة والدقيقة الثانية والأربعين بعد الظهر متأخرة دقيقتين عن موعدها المحدد في الأصل وهو الرابعة إلا الثلث، وهذا لا يعد تأخيراً بطبيعة الحال بل إنه يعد فخراً لهذه الشركة التي تقوم طائراتها في الموعد المحدد كما جربنا ذلك في رحلة أخرى معها فيما بعد.

والطائرة من صنع روسي من طراز توبوليف ١٥٤.

وكانت تذاكرنا في الدرجة الأولى مقطوعة من بلادنا غير أنهم قالوا إن التي لديهم هي درجة رجال الأعمال والأمر ليس كذلك وإنما هذه الطائرة كما كنت أعرفها من قبل داخل الإتحاد السوفيتي وخارجه مقسومة من الداخل إلى أقسام ثلاثة المقدم منها يحتوي على حوالي تسعة صفوف من المقاعد كل صف مؤلف من ستة مقاعد وهي مماثلة لمقاعد الدرجة السياحية في الطائرات العالمية وأسموها هنا درجة رجال الأعمال.

وأعلنوا أن الطيران إلى براغ سيستغرق ساعة إلا ربعاً.

وقبل قيام الطائرة كان الجو حاراً داخلها وحتى من أول قيامها مما ذكرني بالحر الذي عانيته في الطائرات السوفيتية في آسيا الوسطى عندما زرناها في صيف العام الماضي، فهم قد هيئوا هذه الطائرات للنقل في الأجواء الباردة أو كما قال أحد الإخوة المسلمين إنها معدة للنقل في سيبريا.

نهضت الطائرة من المطار فصارت تطير فوق حقول واسعة تعم المنطقة من ألمانيا الشرقية.

وكانت الضيافة قطعة من الكعك اللين (الكيك) وكأساً من عصير الفاكهة وشاياً، وهذا له ما يبرره من كون المسافة قصيرة، والوقت ليس وقت وجبة من الوجبات.

وقدموا هدية غير مناسبة عندنا وربما كانت مناسبة لهم، ولكن لم يكن لهم أن يحكموا على قيمتها عند جميع الركاب هي زجاجات صغيرة من الخمر متنوعة فسألتهم عما إذا كانت لديهم هدية أخرى لمن لا يشربون الخمر ولا يقبلون مثل هذه الهدية فأجابوا بالنفي.

والتفت إلى النافذة فإذا السحاب قد ران على الأرض، وعندما انفرج عن الأرض اتضحت لنا ذات حقول واسعة، ولا ندري من أرض أي الدولتين تقع لأنه لا إيضاحات من الطائرة تبين ذلك.

ثم ظهر نهر ضخم يتمطى بين الحقول والأراضي البالغة الخضرة وتبين بعد ذلك أنه نهر (يامولدا) الذي تقع عليه مدينة (براغ).

وقد كثرت القرى الزراعية أو لنقل القرى المحاطة بالأراضي الخضر المزروعة كثرة ظاهرة وتقاربت في نظر العين من الطائرة.

وبالقرب من مدينة براغ كثرت مداخن المصانع في القرى والضواحي وظهر جسر على النهر لم نر فوقه إلا سيارة واحدة.

ثم ظهرت مدينة براغ وكأنها هي عدة مدن أو محلات يكاد ينفصل بعضها عن بعض لأن أشجار الغابات والأشجار الأخرى تفصل ضواحيها عن قلبها، وتكاد تفصل بعضها عن بعض.

وذلك في خضرة بالغة أكثر وأنضر من الخضرة في ألمانيا بمراحل، حتى إن الحقول الخضر لا تكاد تميزها عن المساحات الواسعة من الأعشاب الطبيعية. وتكاد تجزم بأنها جميعها مهذبة معتنى بها وذلك لجمالها وتناسق أجزائها.

وما أذكر أنني رأيت أكثر جمالاً ونضارة من هذه الخضرة الشاملة التي تحيط بمدينة براغ.

وزاد المنظر جمالاً أن البيوت التي في ضواحي المدينة والقرى القريبة منها كلها حمر السقوف ذات منظر بهيج ولا تجد فيها سقفاً حائل اللون، أو بيتاً باهت الطلاء إذا كان ذات طلاء ملون.

وقد تركوا مناطق من ضواحي المدينة على طبيعتها القديمة ذات أشجار باسقة ملتفة إن لم يكونوا غرسوها هكذا في القديم فصارت تلك الضواحي والقرى كأنما هي منها في ريف خالص.

في مطار براغ:

هبطت الطائرة في الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين بعد طيران استمر ٤٣ دقيقة، في مطار جيد المدارج طويلها، واسع شق أرضاً سندسية خضراء مهذبة قد اجتمع لها الجمال المطبوع والجمال المصنوع إذا كان في الأمر هنا تجميل، فالخضرة شاملة تبين أنها خضرة طبيعية ولكنها تبدو مهذبة منسقة، ولا تجد من الأعشاب الخضر النامية حول المدارج أي عشبة صفراء فضلاً عن أن تجد عشباً يابساً كما هي الحال في مطارات ألمانيا التي مررنا بها.

وتقدم الطائرة مرشد أرضي على سيارة صغيرة مع أن الوقت نهار، وعدد الطائرات قليل في المطار.

وقفت الطائرة في ركن من الساحة المكشوفة ـ فدفعوا بسلم متحرك كان يهتز ويتمايل ونحن ننزل عليه، ثم حملتنا حافلة إلى داخل المطار.

وعند الدخول إلى مبنى المطار وجدنا امرأة معها لوحة مكتوب عليها (ناصر وحسن) فعرفنا أنها تعنيني ورفيقي الأستاذ حسن قاضي وقالت: لقد حجزت لكم فندقاً في براغ. وكنا طلبنا من مكتب الشركة التشيكية في برلين أن يحجز لنا ثلاث غرف في أحد فنادق براغ.

وقالت المرأة وهي موظفة في الشركة المذكورة: لقد حجزنا لكم

ثلاث غرف في فندق ناسونال وأجرة الغرفة ٦٢ دولاراً أمريكياً مع طعام الإفطار إلا أنه يجب عليكم أن تدفعوا بالعملة الصعبة.

ثم صحبتنا لمكتبها حيث جددت الحجز ومن هناك دخلنا مع الجوازات بدون توقف وتجاوزنا (الجمرك) دون تفتيش بسبب الجواز السياسي الذي أحمله ويحمل أحد رفيقي وهو الأستاذ حاتم حسن قاضي جواز سفر خاصاً، أما الرفيق الثاني وهو الأخ رحمة الله بن عناية الله فإن جوازه معتاد، ولكن كوننا معاً أعفانا جميعاً من التفتيش.

في مدينة براغ:

ركبنا سيارة أجرة واحدة حملتنا مع أمتعتنا على ثقلها وقال السائق وهو يجاهد في حمل أمتعتنا ووضعها في سيارته: إن الأجرة المقررة هي ١٦٠ كرونة تشيكية ويساوي ذلك خمسة دولارات أمريكية وتصفا.

وانطلق السائق بسيارته مع طريق مزدوج تفصل بين شقيه جزيرة خضراء ضيقة مجملة بالزهور فشق ريفاً خالصاً بالغ الخضرة لا تكدره أية شائبة من بنيان أو حتى تغيير قصد به الإصلاح وهو الإفساد له فكأننا كنا نسير في أرض خلاء لا أنيس فيها لولا هذه الخط الإسفلتي المزدوج الجيد الذي ليس فيه إلا سيارات قليلة.

وإنما المنطقة بساط سندسي أخضر تزينه ربى خضر تتناثر فيها مجموعات قليلة من الأشجار الندية.

واستمر هذا الطريق الجميل الخالي من العمارة حتى بدت ضواحي المدينة غارقة في الأشجار أيضاً وكأنها تقع في حديقة جميلة متسقة تمتد إلى ما لا يرى المرء له نهاية حتى وصلنا إلى فندقنا (ناسونال) الذي يقع في ضاحية ذات أبنية متعددة الطوابق إلا أنها منسقة ترفرف على أرصفتها أشجار باسقة، وتزينها أرصفة جيدة، ويقع الفندق على ميدان واسع قد وقفت فيه عربات عدة من عربات القطار الكهربائي (الترومواي) الذي تبين أنه لا يزال وسيلة مهمة من وسائل نقل الناس داخل هذه المدينة وغيرها من مدن الدول التي كانت شيوعية. وفيه مكتب أو محطة لها.

وجدناه فندقاً سياحياً كبيراً بحيث أن عدد المصاعد فيه يبلغ خمسة، وفيه عدة مطاعم، ولكن غرفه ليست واسعة وإن كانت مكملة فيها الثلاجة والتلفاز شأن الفنادق السياحية. وقد وجدناه حافلاً بالسياح قد كادت قاعاته على سعتها تضيق بهم. وكلهم من الأجانب من أمريكيين وأوربيين.

وهو من عشرة طوابق انزلونا في الطابق الثالث منه حيث تطل غرفتي على الميدان الواسع الذي فيه محطة (الترمواي). وهي الجهة الشرقية.

أما الجهة الثانية فيه وهي الجهة الغربية فإنها تطل على ربوة قد تركوا أشجارها طبيعية نامية توشيها حشائش وأعشاب خضر طبيعية أيضاً.

قلب المدينة الجديدة:

لم نطق صبراً على البقاء في الفندق دون رؤية وسط المدينة فطلبنا من سائق أجرة أن يوصلنا إلى قلب المدينة ولكنه ذهب بنا إلى قلب المدينة الجديد الذي هو وسطها التجاري الذي يعج بالناس وتشتد فيه الحركة.

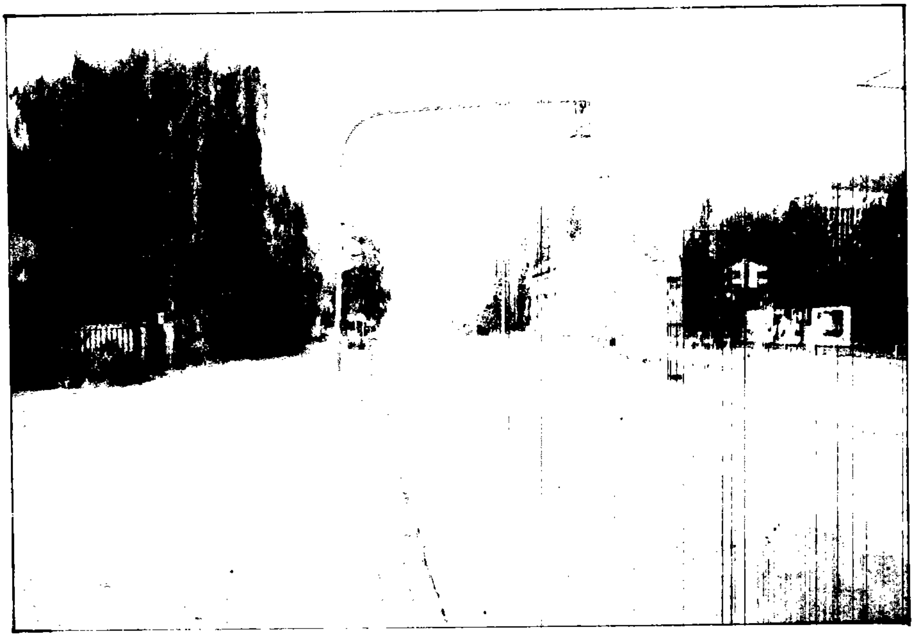
فقد شقت السيارة الضاحية التي يقع فيها الفندق مع شوارع جيدة، ولكنها تكاد تكون خالية إلا من حركة السيارات فالمتاجر مغلقة مع أن الساعة تقارب السابعة مساءً والأرصفة ليس عليها مشاة.

ثم اخترقت ضواحي فاخرة تهبط فيها السيارة وتصعد وسط مناظر جميلة من أشجار باسقة، ومناطق خضراء بهيجة، ومنازل حسنة المنظر.

وقد زينوا هذا الجمال بزهور غرسوها ونسقوها فنمت وازدهت بها الشوارع والميادين في هذا الصيف الذي هو لهم بمثابة الربيع.

وصرنا ونحن ننتقل عبر الشوارع الواسعة المنسقة في المدينة كأنما ننتقل من ضاحية إلى ضاحية، وذلك لكثرة الحدائق في المدينة والتفاف الأشجار فيها ـ وبخاصة الأماكن المرتفعة التي تركوا الأشجار فيها تنمو وتتشابك حتى لا تكاد ترى الأرض بينها.

ثم وصلنا إلى داخل المدينة فإذا هو ضخم بأبنيته الرومانية الطراز أو القوطية العجيبة وأكثرها مزين بالتماثيل، مع أنه مبني على طراز جميل.



شارع في ضواحي براغ

ووسط هذا الجمال من الأشجار والأزهار وإن شئت قلت: والأحجار لأن معظم الأبنية الضخمة القديمة كانت مبنية بالحجارة كانت الشوارع قد سالت بجمال آخر يسير على قدميه، وكثيراً ما كان يرى اثنين اثنين.

فالإشراق في الألوان، الذي هو البياض الناصع قد ألبسته شمس الصيف حمرة خفيفة زادته إشراقاً، وإن كان المرء إذا تأمل هذه الوجوه البيض الصافية رأى من خلال قسماتها إمارات من الشقاء، أو علامات من قلة الغذاء، أو رقة في الملابس مبعثها الفقر الشيوعي لم يكن لاحظها من قبل.

والغريب أن هذه الزهور المتحركة والزهور المتمايلة مع النسيم ذات الشذا العميم، هي موجودة وسط جو حار كأنه جو البلاد العربية في وسط النهار حتى الشمس حارة إلا أن الهواء إذا هب يكون بارداً، ولكنه قلما

يهب. وإنما هو جو راكد لا يبدد ركوده شيء مما يكافح به الحر من مروحة تدور أو مكيف يشتعل.

فكان العجيب من أن تجتمع هذه الأشياء التي ظنناها لأول وهلة من الأضداد.

وقفة وسط المدينة:

أوقف السائق سيارته وقال: هنا ما تطلبون وكان ذلك بالفعل إذ أنزلنا في مكان جميل جداً قد أغلقوا جانباً منه عن السيارات فصار خالصاً للمشاة الذين إذا تعبوا من المشي كان لهم أن يستريحوا على مقاعد حجرية منثورة في المنطقة.



تذكارية في الشارع المغلق في براغ

ورأينا أكثرهم بالفعل جالسين على تلك المقاعد التي جاورتها الزهور. وحفت بها الورود سواء منها ورود الخدود، وورود العود. فالقوم قد شغلهم البحث عن العيش عن الجلوس في مقاهٍ أو مشارب.

فالمشارب هنا قليلة جداً، والجالسون إليها قليل، وإنما الجميع قد امتلأ بهم هذا المكان الجميل الذي يمتع الجالس فيه بصره وفكره دون أن يمتع بطنه أو فمه.

ورصيف هذا الشارع الذي أغلقوا جزءاً منه دون السيارات وسمحوا بمرورها من جزء منه آخر هو ذو أرصفة عريضة متعددة تظللها أشجار باسقة ريانة قد أحاطوا جذوع هذه الأشجار بأطواق من شبك الحديد حتى تحفظ تربتها من الإنجراف وتحفظ أحذية السائرين حولها مما قد يكون في أحواضها من طين أو غبار وقد بلطوا رصيف الشارع بحجارة ملونة كأنها الفسيفساء، ونقش بديع وفق ذوق رفيع ما رأيت مثله إلا في بلاد البرازيل عمرها الله تعالى.

وتحف به أبنية عالية الطوابق فخمة الأطرزة ذات واجهات حجرية ثمينة، وذلك أنها كانت قد بنيت قبل أن تبتلى البلاد بالشيوعية التي أفقرت الغني ولم تغن الفقير.

وقد سرنا ثم سرنا في هذا الجو الجميل الذي شمل جماله الجو المادي والجو الحقيقي إذ أخذت السماء ترسل رذاذاً خفيفاً لطف الجو ولم يلوث الثياب أو التراب.

حتى وصلنا إلى مبنى المتحف الوطني الذي يحف برأس هذا الشارع من أحد جانبيه وهو مبنى فاخر قديم قد أقيمت فوقه رسوم فنية، وتماثيل متعددة أكثرها يرمز لأشياء من تراثهم الفني لا يفهم الغريب مثلنا المقصود منه إلا إذا أخبر بذلك.

وهذا المكان وما يحف به يسمونه القلب الجديد للمدنية وهو ليس

جديداً وإنما هو أكثر جدة من قلبها القديم الذي سنزوره فيما بعد ويرجع إلى القرن السابع الميلادي أي إلى ما بعد البعثة النبوية المحمدية بقليل عندما بدأ البناء في المدينة لأول مرة.

البحث عن مطعم:

معظم الأشياء المهمة التي يسهل الحصول عليها في البلدان الحرة يكون البحث عنها متعباً في البلدان الشيوعية، فليس أسهل من السؤال عن مطعم أو مشرب في بلد حر، ولكن ذلك صعب بل شديد الصعوبة في البلدان الشيوعية عرفت ذلك من زياراتي للإتحاد السوفييتي وغيره. وذلك قبل أن يطلق الشيوعيون شيوعيتهم الطلاق البات.

ولا يزال هذا الأمر صعباً حتى الآن فقد احتجنا للأكل بعد السير الطويل وقد حان وقت العشاء إذ كانت الساعة قد زادت على التاسعة. فحاولنا أن نجد مطعماً أو حتى مقصفاً يقدم وجبات صغيرة في هذا المكان الذي كان يعج بالناس من السياح وأهل البلاد، فلم نستطع أن نجده حتى دلونا على فندق اسمه (أوتيل بالاس) وفرحنا إذ وجدنا فيه لافتة من القماش تقول: إن الطعام مفتوح أي (بوفت) فلما أردنا الدخول إلى المطعم اعترضنا الموظفون وقالوا: أأنتم من الساكنين في الفندق؟

فقلنا: لا، فقالوا: الطعام خاص بنزلاء الفندق ولا يسمح بتقديمه لغيرهم.

فسألناهم عن أي مكان يمكن أن نجد فيه طعاماً يباع، فذكروا لنا مكاناً بعيداً عن الشارع العام الذي يقع عليه فندقهم وقال: إنه (بوفت) أيضاً وهو جيد جداً. وتنطعوا في وصفه بالجودة وبالغوا في ذلك.

فذهبنا إليه نسأل عنه حتى وصلناه فوجدناه مطعماً صغيراً فيه أوانٍ قليلة فيها مقادير قليلة من الأطعمة التي منها بعض البقول والسلطات والخبز والأرز ولحم البقر - إلى جانب شراب الكوكا كولا الذي يمزجونه في بلادهم ثم القهوة والشاي - فأكلنا فيه ما أردنا وكنا ثلاثة ودفعنا لذلك ٤٤٥ كراوناً

ويساوي ذلك ١٣ دولاراً وهو طعام ليس كثير الكم، ولا جيد النوع، ولكننا حمدنا الله تعالى حين وجدناه، لأن معنى ذلك أننا لن نتعشى إذا لم نجده لأن موعد تقديم العشاء في فندقنا يكون قد فات.

ولاحظنا أن العاملات في هذا المطعم كلهن من النساء يعاملن الآكلين بجفاء ظاهر، فلا تكتفين بعدم الإبتسام كما يفعل أكثر العاملين في محلات الحكومة ومتاجرها في البلدان الشيوعية، وإنما يغضبن ممن يسأل عن الطعام ويكرر الكلام مع أنه إذا كان مثلنا غريباً لم يكن ذلك منه عجيباً.

وقد غربت الشمس في التاسعة والنصف وخرجنا من المطعم بعد العاشرة وما زال نور الشفق وهو الذي يعقب غروب الشمس غامراً، وما زال هذا السوق بالناس عامراً وبخاصة من نساء تخففن من ملابسهن ووجدن من هذا الصيف الحار ما يشفع بذلك لهن.

ثم عدنا إلى الفندق فوجدنا فيه إعلانات على سبورات مقامة عند مصاعده يذكر أحدها أن هناك حفلة للفنون الشعبية يمكن أن يشرب من يحضرها ما يشاء من الجعة (البيرة) دون حدود في مقابل مبلغ معين محدود من المال يشمل قيمة التذكرة.

وإعلان آخر يعلن أن النادي الليلي (النايت كلوب) يقع في الطابق الفلاني، وأن حفلة الديسكو وهو الرقص الإيقاعي المعتاد يقع في مكان كذا.

وكل هذه أمكنة تابعة للفندق ولم ندخل أياً منها لأنه لا يجوز لنا ذلك.

عاصمة لم تبنها تشيكوسلوفاكيا:

عاصمة دولة تشيكوسلوفاكيا لم تبنها دولة تشيكوسلوفاكيا المؤلفة من التشيك والسلافيين ولا يزيد عدد سكانها مجتمعين على ١٦ مليون نسمة، فهي أكبر وأفخم من أن تستطيع هذه الدولة الحديثة النشأه المحدودة

الإمكانات أن تبنيها أو أن تقيم عاصمة قريبة من مستواها، وهذا ما يزيل العجب من كون هذه العاصمة (براغ) على ما هي عليه من الفخامة والبهاء والروعة وخاصة في وجود الأبنية الفاخرة القديمة.

فالذي بناها هم الأفدمون الذين هم ملوك دولة بوهيميا وبعضهم يسمونهم أباطرة، وامبراطورية بوهيميا التي كانت تشمل هذه البلاد وبلاد النمسا وجزءاً من ألمانيا.

فهي أفخم مظهراً، وأسنى بناء وأحسن تنظيماً من كثير من العواصم الأوروبية الشهيرة مثل لندن وبروكسل مع أن سكانها لا يزيد عددهم على مليون ونصف مليون نسمة.

يوم الأربعاء ٢٨/١٢/١٤١١ هـ:
الإجتماع بزعماء الجماعة الإسلامية:

كنا أجرينا اتصالات هاتفية أمس مع اثنين من زعماء المسلمين الذين كنا نحمل عناوينهم فواعدونا اللقاء في هذا اليوم.

فحضر في الساعة التاسعة إلى فندقنا الأخوة الدكتور رومان ريجنسكي وهو مسلم عريق أصله من تتر بولندا المتمسكين بإسلامهم وكان يعمل أستاذاً في الجامعة. كما عمل في السلك السياسي أيضاً، ورأس الجماعة الإسلامية في تشيكوسلوفاكيا هذه سنوات.

الأخ لومبير عمر باسينا عضو الجماعة الإسلامية وقد حج هذا العام ضيفاً على رابطة العالم الإسلامي بدعوة منها.

الأخ الشاب عبد الحكيم فون ويخن سكرتير الجماعة الإسلامية. وهو حديث العهد بالإسلام أسلم في كندا منذ سنة وشهرين على يد شخص صومالي يقيم هناك، وكان ذاهباً إلى كندا للدراسة، وذكر أن والده ميت وأنه الآن يحاول أن تسلم أمه التي لا تزال على قيد الحياة. وقد بحثنا مع هؤلاء الإخوة أحوال المسلمين في تشيكوسلوفاكيا فتبين أن الدكتور رومان لم يعد رئيس الجماعة الإسلامية فقد انتخب غيره وصارت رئاسة الإتحاد الإسلامي الآن في مدينة بورنو حيث يوجد مسجد وحركة إسلامية سوف نجتمع بالمسؤولين عنها فيما بعد إن شاء الله.

وجدنا المسلمين في براغ في حالة يرثى لها من الضياع فليس لهم مسجد ولا حتى مكان يصلون فيه ولو ضيقاً، وليسوا مسجلين رسمياً معترفاً بهم من الدولة.

ووجدنا الدكتور رومان يائساً، بل في غاية اليأس. يشكو مما حل به ويقول: لقد فصلت من عملي بسبب ديني فأنا أستاذ في الجامعة ودبلوماسي، وقد فصلت من عملي بسبب ديني، إنهم هنا لا يحبون المسلمين والمسلم في نظرهم شخص إرهابي.

وقال: حتى الدعاية التي يمكن لنا أن نقاوم بها هذه النظرة ليس لدينا النقود اللازمة لها، وذكروا أنهم لم يستطيعوا الحصول حتى على ترجمة معاني القرآن باللغة التشيكية التي صدرت منذ شهرين لضيق ذات اليد عندهم فأعطيناهم مائتي دولار ليشتروا بها خمسين نسخة يوزعونها على المسلمين التشيكيين في براغ.

والحقيقة أن الدكتور رومان ريجنسكي ليس لديه الإستعداد النفسي للعمل فهو مسنّ، ومر بمحن أثرت في نفسه.

ولذلك عندما قلنا له: إنه يمكن للمسلمين أن يستأجروا مقراً لهم يجتمعون فيه للصلاة وللتشاور في أمور دينهم ولن يعجزهم دفع أجرته. أجاب بأن دفع الأجرة يعجزهم بالفعل، فقلت له: إنكم يمكنكم أن تكتبوا لرابطة العالم الإسلامي في المساعدة على ذلك، ونحن الآن على استعداد أن نساعدكم ونضمن لكم ذلك إذا أقدمتم عليه، فهل كتبتم للرابطة؟.

فأجاب: لم نكتب للرابطة ولم نعرفها ولم يساعدنا أحد من سفراء الدول الإسلامية الموجودين في براغ، لم يساعدونا.

وقد استمر هذا البحث المحزن معهم ثلاث ساعات شعرنا خلالها بأن على جهة من الجهات الإسلامية أن تتولى مساعدتهم من الصفر وألا تترك الأمر لجهودهم وحبذا لو نهضت بذلك إحدى سفارات الدول الإسلامية،

ونحن في رابطة العالم الإسلامي على استعداد للمساعدة المالية في ذلك ـ ولكن الأمر يقتضي تحمل المسئولية والمتابعة.

بل إن الواجب يقضي على العالم الإسلامي كله أن يتعاون على إيجاد مركز إسلامي يضم مسجداً ومكتبة حافلة، وقاعة محاضرات تكون منبراً لمن يرتاده من المسلمين، وتكون مرجعاً لمن يريد الإطلاع على المعرفة الإسلامية. وما ذلك بعزيز على المسلمين، بل إنه يكفي أن ينتبه لذلك ويجزم العمل عليه بعض الأثرياء من قطر مسلم واحد.

إلا أن الذي يفت في العضد أن عدد المسلمين في مدينة (براغ) قليل حتى ذكروا أن المسلمين التشيكيين أي الوطنيين لا يزيد عددهم على الخمسين، ولكن يوجد طلاب وسياسيون وتجار مسلمون عددهم ليس قليلاً.

والمهم هو أن تتظافر الجهود، وتصدق النيات فالإمكانات موجودة وإرادة الخير لدى المسلمين متوفرة.

جولة في مدينة براغ:

وكانت الجولة هذه المرة مع الأخ المسلم عبد الحكيم فون ويخن... فهو من أهل براغ ويعرفها جيداً ويتكلم الإنكليزية بطلاقة.

تركنا فندقنا فندق ناسونال في الساعة الثانية عشرة ظهراً، وانطلقنا إلى المدينة فتكرر عجبنا من كون هذه المدينة الفاخرة لم تجد من يشرح حالها، ويذكر جمالها. أو هذا هو ما نعرفه عنها قبل ذلك.

وقال الأخ عبد الحكيم: إن هذه البلاد كانت جزءاً من الإمبراطورية النمساوية وأن هذه الأبنية التاريخية الفاخرة كانت قبل الشيوعية.

وذكر الأخ عبد الحكيم ذلك ونحن نصل إلى جزء من قلب المدينة القديم ذي الشكل المميز والأبنية التاريخية الفخمة.

بوابة براغ:

وصلنا إلى بوابة عالية يساوي ارتفاعها ارتفاع بناء حديث مؤلف من ٩ طوابق. وقد بنيت من حجارة ضخمة منقوشة في هندسة يركب جزء منها الجزء الذي أسفل منه ولكل جزء منها طابع خاص أو مرأى خاص.

واسمها (برانستابراها) أي بوابة براغ ويرجع تاريخها للقرن الرابع عشر لأن الذي بناها هو الملك شارل الرابع ملك بوهيميا وألمانيا.

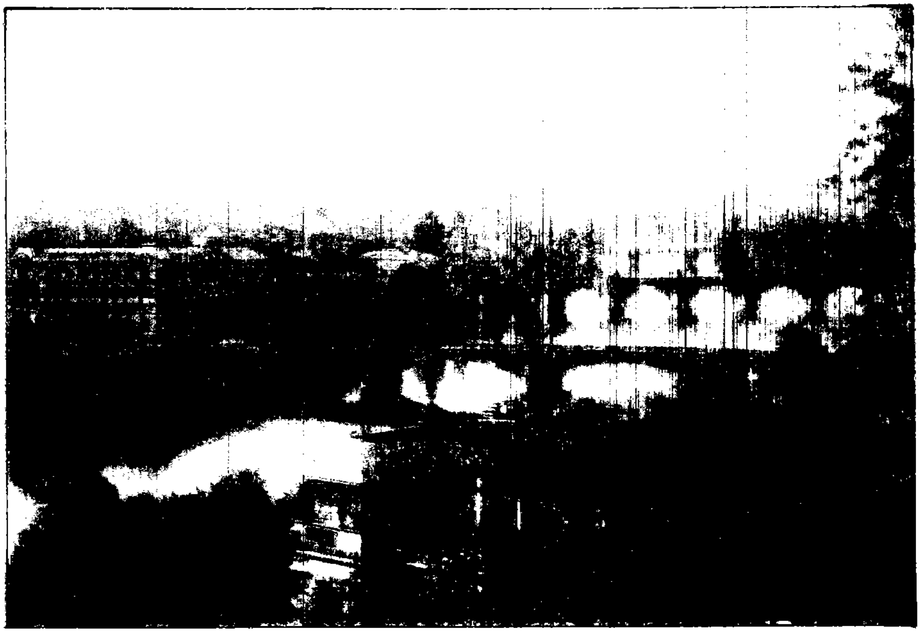
وهذه البوابة تفوق عندي في عظمة البناء وعجبه قوس النصر في باريس، وإن كان قوس النصر أجمل منها لقرب الذوق الفرنسي الحديث من ذوقنا العربي الفني.

وهي بوابة رمزية مثل قوس النصر لأنها واقعة في قلب المدينة الذي يحفل بمبانٍ قديمة أكثرها من القرن الرابع عشر الميلادي.

وبعد الجولة في هذه المنطقة، دخلنا متجراً حكومياً واسعاً فيها للبحث فيه عن البدل التشيكية المشهورة برخص أسعارها، وجودة تفصيلها، وإن لم تصل جودة قماشها إلى ذلك.

فوجدنا الأسعار فيه رخيصة حيث يبلغ متوسط ثمن البدلة الواحدة ما بين ٣٠ إلى أربعين دولاراً أمريكياً، إلا أن جميع البدل الموجودة لديهم هي من قطعتين: السروال وهو (البنطال) عند الإخوة الشاميين أو البنطلون عند قومنا الذين لا يبالون بما يلحنون، والصدري الذي هو الجاكيت أما القطعة الثالثة التي هي الصدار فإنها ليست موجودة لديهم في البدلات التي تباع في هذا المحل. وقد اشترينا منه وتعهدوا بأن يقصروها لنا دون مقابل، كما انتقلنا إلى محل آخر واسع مخصص لبيع الأحذية على اختلاف أنواعها وأحجامها فوجدنا الأسعار فيه رخيصة أيضاً.

ولكن هذا الرخص في الأسعار يعتبر غلاءاً شديداً بالنسبة إليهم، لأن الأسعار ارتفعت عما كانت عليه إبان الحكم الشيوعي ارتفاعاً فاحشاً لم تصاحبه زيادة مناسبة في الرواتب.



نهر براغ

نهر براغ:

قرأت من كلام بعض الأئمة القدماء وبعض المؤلفين أسنده إلى الإمام الشافعي قوله: لا تسكن في بلدة ليس فيها خباز ولا طبيب ولا نهر جارٍ.

ولذلك لا بد للمرء أن يبحث عن نهر جارٍ في المدن القديمة والعريقة.

وهكذا كان في براغ فقد كنت أبحث ببصري عن نهر جارٍ في براغ فوجدته دون عناء ورأيته ضخماً ثر المياه يشبه نهر الدانوب وما هو به، بل هو نهر (يامولدا) هذا اسمه، وقد أسميته نهر براغ من باب التجوز في القول لكونه يجري فيها.

تجولنا بالسيارة على ضفاف هذا النهر الذي تحيط به من جهة قلب

المدينة أبنية تاريخية قديمة ومنازل ليست عريقة في القدم ولكنها ليست حديثة، والجامع بينها وما قبلها هو الذوق الرفيع وترفرف عليها كلها الأشجار الوارفة الظلال في هذا الجو الصيفي الحار. وتحف بالنهر من الجانب الآخر ربى خضر عالية قد تركوها كما هي أشبه بالغابات العذراء، وقد زادها ارتفاع مكانها جمالاً على جمال ولو كانت في بلاد نعرفها من بلادنا العربية وغيرها لقطعوها وجعلوا مكانها مخططات سكنية لا طعم لها ولا لون مع أن بلادنا بلاد صحراوية واسعة، وبلادهم بلاد زراعية ذات ربى ووديان غير مستوية.

مدينة الغبار:

مع هذه المناظر الندية التي ينساب خلالها نهر (يامولدا) العظيم تحف به أشجار الغابات التي تغطي أقدامها الأعشاب الملتفة الخضر، وتنهض منها أشجار صغيرة أخرى، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يسموا هذه المدينة الجميلة الخضراء بمدينة الغبار. فكلمة (براغ) وبعضهم ينطقون بها (براها) بالهاء بديلة من الغين تعني بلغتهم الغبار وهذا من تسمية الشيء بضده إذا ما نظرنا إلى وضع المدينة الحاضر حيث لا يوجد فيه الغبار ولو تطلبه من يطلبه.

ولكنهم قالوا: إنها سميت بذلك في عصور قديمة عندما كانت قوافل التجار من العرب والألمان وغيرهم تأتي إليها وتحبس دوابها في ضواحيها التي لم تكن قد عمرت بعد، فتثير من تربتها الطينية الخصبة الغبار.

وقلت: إنه يصح الآن أن نسمي مدينتكم في هذا الفصل الصيفي الحار بمدينة الأزهار، أما في الشتاء الثالج فإن الغبار الذي يوجد فيها إنما يتمثل في اللون الرمادي الذي يغطي الأشجار عندما يعريها البرد من الأوراق، ويلح عليها حتى تبدو وقد بعد عهدها بالحياة كأنها ليس بها حياة.

في مطعم تشيكي:

والمطعم التشيكي ولم نقل تِشيكوسلوفاكي طلباً للإختصار من جهة



تذكارية مع زعماء المسلمين في تشيكوسلوفاكيا

ولأن مدينة براغ هذه واقعة في بلاد التشيك الذين تآلفوا مع السلاف على الإشتراك في إقامة هذه الجمهورية وقد اخترناه مطعماً يقدم الطعام البحري الحلال.

وكان الذهاب إليه برأي من الأخ عبد الحكيم بعد أن سأل عنه طائفة من المواطنين إذ لم يكن يعرفه من قبل.

استقبلتنا فيه امرأة مسنة فقدمت القائمة التي رأيناها كلها مأكولات بحرية فاخترنا صحناً من الكافيار كما أسموه وهو في الحقيقة بيض السمك المعتاد وليس هو الكافيار الغالي المعروف الذي لا يوجد إلا في بحر قزوين، ولذلك تبيعه كل من إيران والإتحاد السوفييتي. وحساء من حساء السمك وصحناً كبيراً مليئاً بالسمك الجيد إلى جانب الشراب الذي كان ماءاً معدنياً وعصيراً من عصير البرتقال وقد جاؤوا أولاً بصحن الكافيار ومعه بيض وبعض المقبلات.

وكان ثمن ذلك كله لأربعة أشخاص ٦١٠ كرونات ويساوي ذلك تسعة عشر دولاراً أمريكياً وهذا رخيص جداً.

ولكن المطعم كان حاراً بل خانقاً شعرنا فيه بالضيق من شدة الحرارة وكان العرق يتصبب من أجسامنا ولم نرَ الآكلين في المطعم ولا العاملين يتأففون من هذا الحر الشديد كما نفعل نحن القادمين من البلاد الحارة ولكننا نكافح الحر بالمكيفات والمبردات فالمكاتب مكيفة والمنازل مكيفة والسيارات مكيفة أيضاً والمطاعم من باب أولى.

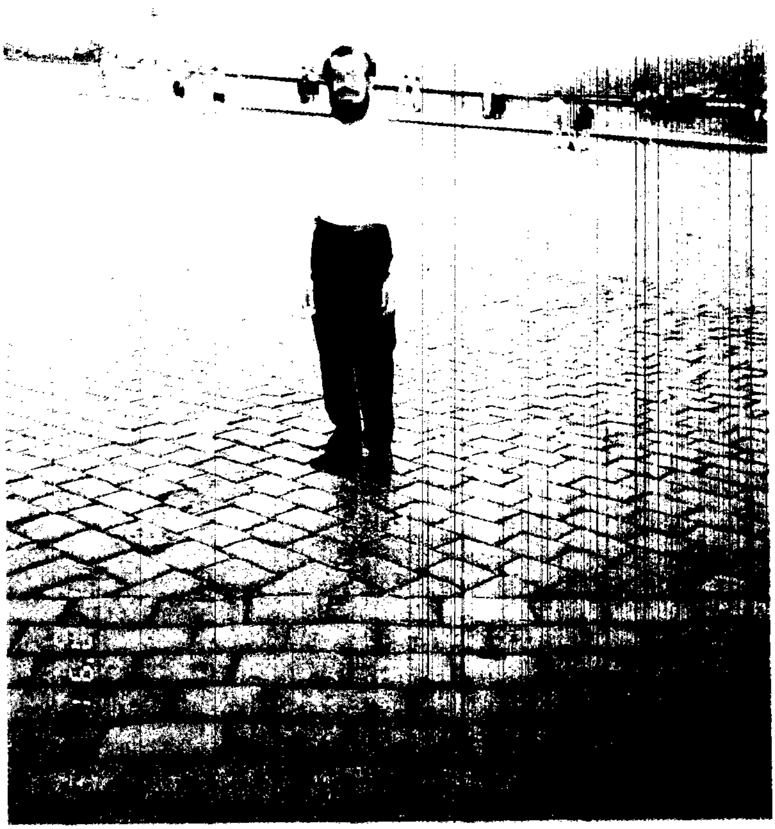
وقد اضطررنا إلى طلب فتح الأبواب من كل جهة حتى يتحرك الهواء داخل المطعم.

الإسلام والمسلمون في تشيكوسلوفاكيا:

قدمت شيئاً عن أوضاع المسلمين في مدينة براغ في عاصمة الدولة وأنها أوضاع محزنة، حيث لم يستطيعوا الحصول حتى على مكان مؤقت مستأجر للإجتماع والصلاة فيه رغم وجود مئات من الطلبة والعاملين في سفارات الدولة الإسلامية وغيرهم من المسلمين في البلاد.

ولكن وضع المسلمين في مدينة (بورنو) الجنوبية على ضعفه أحسن من وضع المسلمين في العاصمة (براغ) فقد تمكنوا في (بورنو) من استئجار شقة يصلون فيها ويتلقون فيها في بعض الأحيان دروساً إسلامية محدودة، ولم يكن بإمكاننا زيارة هذه المدينة التي تبعد مائتي كيلو متر عن (براغ) ولا المدينة الثانية التي توجد فيها جماعة مسلمة أخرى وهو مدينة (براتا سلافا). لذلك رأينا أن ندعو المسؤولين في الإتحاد الإسلامي التشيكوسلوفاكي إلى براغ للتحدث معهم في الموضوعات الإسلامية. وتقديم بعض المساعدة التي يحتاجها.

وقد أبدوا استعدادهم لذلك ووصلوا من مدينة (بورنو) في الساعة الثالثة من بعد الظهر فعقدنا معهم اجتماعاً موسعاً حضره منهم الأخ محمد صالح سلمان رئيس الإتحاد الإسلامي التشيكوسلوفاكي وهو موظف متقاعد كان يعمل مدرساً في مدرسة ثانوية ومعه الأخ الدكتور سليم محمد الزهر



في ميدان المنطقة التاريخية العالمية في براغ.

أمين صندوق الإتحاد وهو طبيب مسلم لبناني تعلم في هذه البلاد وعمل في مستشفى حكومي في مدينة (بورنو) أكثر من عشر سنوات ومع ذلك ذكر أن المستشفى فصله من العمل مع أنه يحمل الجنسية التشيكية بسبب ظاهر هو

التقشف وضغط النفقات. أما هو فإنه يقول: إنهم فصلوه بسبب كونه مسلماً. لوجود نفوذ قوي الآن في تشيكوسلوفاكيا لليهود بعد أن طلقت الشيوعية ورأس جمهوريتها شخص يهودي هو الدكتور هافيل رئيس الجمهورية.

وكنا سمعنا أيضاً من الدكتور رومان أن سبب فصله من العمل هو كونه مسلماً، وأنه قد تم ذلك بناء على نفوذ يهودي قوي في البلاد.

ويقول الدكتور سليم: إنه يسعى الآن لتأسيس مستشفى خاص راقٍ ويبحث عن ممولين لهذا المشروع الذي يعتقد أنه سيكون ناجحاً بعد أن تخلصت البلاد من الشيوعية، وإن الدولة لا تمانع في ذلك.

وهو رب عائلة وله ثلاثة أولاد.

كما حضر معهما من بورنو شخص ثالث من أعضاء الإتحاد وحضر الجلسة الدكتور رومان الرئيس السابق للجماعة المسلمة في (براغ).

وكان أهم ما بحثناه معهم هو الحث على إيجاد مركز للمسلمين ولو صغيراً مؤقتاً في العاصمة (براغ) يكون مكاناً لتعارف المسلمين فيما بينهم ومرجعاً لمن يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام والمسلمين فيها. وأخبرناهم أننا مستعدون لدفع أجرة المركز لمدة سنة واحدة فوراً.

وإننا نرى مع ذلك أنه ينبغي لهم أن يبحثوا عن أرض يشترونها في العاصمة من أجل أن يقيموا عليها مركزاً إسلامياً. وإن الوقت الحاضر هو أنسب الأوقات لهذا الأمر، لأن أقيام الأراضي تعتبر الآن رخيصة لقلة النقود في أيدي الناس. ولا شك في أنها سترتفع أثمانها في المستقبل إذا حسنت الأوضاع الإقتصادية عندهم في ضوء النظام الإقتصادي الحر.

وذكرنا لهم أن رابطة العالم الإسلامي ستسهم في قيمة الأرض المذكورة إذا اشتروها. ثم أخبرناهم أننا سنعطيهم الآن خمسة عشر ألف دولار أميركي تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في تشجيع العمل الإسلامي في تشيكوسلوفاكيا منها خمسة آلاف دولار لاستئجار مقر للجماعة المسلمة في براغ وعشرة آلاف دولار يصرفها الإتحاد على ما يراه.

وبخاصة أنه هو الذي يدفع أجرة المكان المستأجر للصلاة والدراسة في مدينة (بورنو) وأنه فيما ذكروا معترف به من الحكومة، خلاف الجماعة المسلمة في براغ التي لم تسجل في الحكومة ولم يعترف بها رسمياً وإنما كانت تجتمع بصفة غير رسمية في منزل رئيسها السابق الدكتور (رومان بريجنسكي).

وقد دفعنا لهم المبلغ بالفعل بحضور الجميع ووعدناهم بمواصلة التعاون معهم.

ومن الغريب المؤسف أنهم ذكروا أنهم لم يتقدموا قبل ذلك بطلب المساعدة من الرابطة. بل قالوا: إنهم لا يعرفونها، وثبت ذلك لدينا من كونهم لا يعرفون حتى اسم الرابطة، وهذا عجيب من عدم نشاطهم ومحاولتهم الإتصال بإخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية.

وقلنا لهم: إنه ينبغي أن يكون هذا اللقاء فاتحة خير في التعاون مع الرابطة. وقد سروا بذلك وبخاصة بهذه المعونة المالية التي جاءتهم في وقت الحاجة إليها وهي على قلتها تتناسب مع نشاطهم المحدود.

ومن خلال الحديث معهم ذكروا أن عدد المسلمين في تشيكوسلوفاكيا يبلغ خمسة آلاف من المواطنين في كل أنحاء تشيكوسلوفاكيا. وعددهم في براغ وحدها هي خمسون مسلماً، وأن عدد أعضاء الإتحاد الإسلامي العاملين هو (٥٥) شخصاً.

وهذا العدد لا يشمل غير التشيكوسلوفاكيين الذين منهم الطلاب والعاملون في السفارات المسلمة والتجار وأمثالهم كما تقدم.

وفي نهاية اللقاء أهديناهم هدايا صغيرة مثل مقادير من التمر والسبح - جمع سبحة -.

وقبيل انتهاء المقابلة سمعنا منهم ما زادنا أسفاً على حالة الإسلام والمسلمين في هذه البلاد وذلك عندما سألناهم عما إذا كان المسلمون يزيد عددهم كما هي عليه حال أغلب المسلمين في بلدان الأقليات، فأجابوا

بالنفي وذكروا أن المسلمين ضعفاء في دينهم بمعنى أنهم لا يعرفون منه شيئاً كافياً وهم ضعفاء أيضاً بالعمل له ولا يوجد بينهم مرشد ولا داعية مع حاجتهم لذلك فكيف يدعون غيرهم للدخول في الإسلام، وإذا دخل داخل في الإسلام لم يجد من يبصره في دينه، فضلاً عمن يدعوه إليه، ويتعهده بالعناية والرعاية.

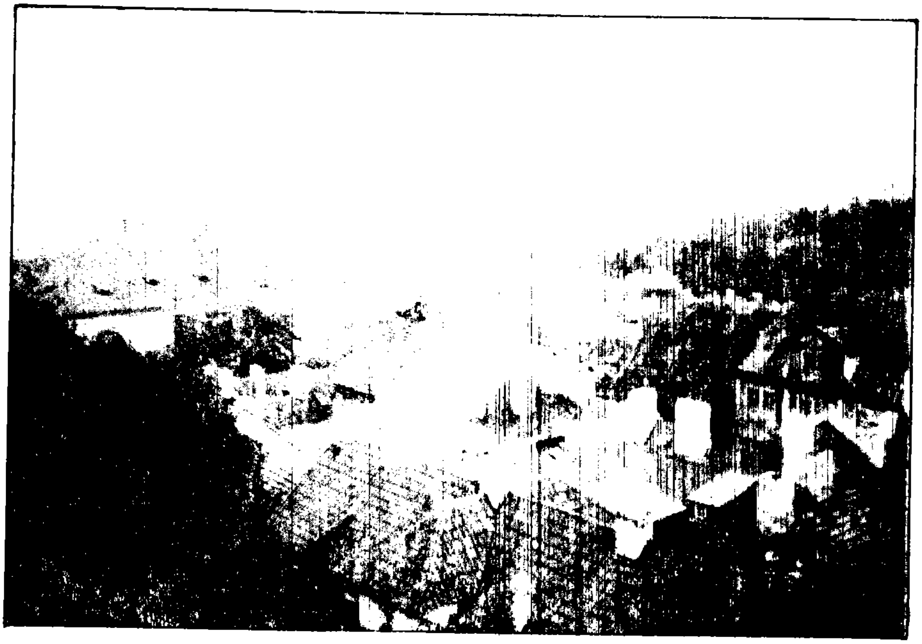
عَوْد إلى الحي الأقدم في براغ:

بقي علينا من أقسام براغ التي لم نزرها اهمها وهو القسم القديم بل الأقدم منها الذي يرجع عهد بنائه إلى القرن السابع الميلادي الذي يوافق القرن الأول الهجري وذلك عندما بدأت السكنى في براغ لأول مرة.

خرجنا من الفندق ويصحبنا الأخ المسلم التشيكي عبد الحكيم فون وذلك في السابعة والنصف عصراً، وقد بقيت على غروب الشمس ساعتان فسلكنا طريقاً لم نسلكه من قبل ولا يختلف عن غيره من الطرق في الجمال والسعة بل الجودة في أكثر الأشياء.

ومن أكثر ما يسترعي الإنتباه في مدينة (براغ) كلها كثرة خطوط (التُروماي) وكثرة استعمال الناس لركوبه حتى إنك تراه مليئاً في أكثر الأحيان ـ مع أن هناك وسائل انتقال عامة أخرى وهي الحافلات المعتادة والحافلات الكهربائية (الترويللي باص) ولذلك قالوا لنا إنه لا مشكلة لديهم في الإنتقال من جزء من المدينة إلى جزء آخر ولا يشكون من زحام متعب في تلك الوسائل، وتكررت رؤية الحدائق العامة والأشجار الباسقة التي كان بعضها على هيئة بقع من أشجار الغابات الملتفة، أما السيارات الخاصة فإنها موجودة ولكنها ليست كثيرة وأكثرها صغير من طراز (لادا) الروسي الذي هو في الأصل سيارة (فيات) الإيطالية يصنع في الإتحاد السوفيتي دون أن يطرأ عليه أي تغيير إلا تغيير لا يتناوله بالتكبير. لأنه يخيل إليك إذا رأيته أنه بالنسبة سيارة الى (فيات) التي نعرفها صغير.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الناس هنا يشكون الآن من الغلاء في كل شيء، لأن أسعار السلع وخاصة منها المأكولات زادت أضعافاً مضاعفة من



الحي القديم ببراغ

دون أن تصحب ذلك زيادة في الرواتب التي لا تزال كما كانت أيام الحكم الشيوعي بحيث لا يزيد راتب الموظف المتخرج حديثاً من الجامعة عن سبعين دولاراً أميركياً.

ميدان الحصون:

ويسمونه ميدان هيراتشن بهذا المعنى وهو ميدان جميل يطل من عل على المدينة القديمة من براغ التي بدأت قبل ثلاثة عشر قرناً.

وتحيط به أبنية تاريخية مهمة من أهمها قصر الرئاسة حيث يقيم الرئيس هافيل رئيس الجمهورية وقد بني هذا القصر في عام ١٧٤٠ م وعليه بوابة تاريخية بنيت قبله بقرن من الزمان، وهذا الميدان وما حوله في مكان مرتفع يطل على المدينة القديمة، وليس فيها نفسها لأنها في وادٍ منخفض كما سيأتي.

وتأتي أهمية هذا القصر من كونه كان في القديم مقراً لملك بوهيميا والمجر والنمسا الذي كان يتخذ من براغ عاصمة له.

وعلى جانبي مدخله عمودان من الخشب مرتفعان صقيلان ضخمان يعجب المرء من وجود شجرة بهذا الطول لأنه ليس فيهما مفصل ولم يوصلا بشيء وإنما كل واحد منهما خشبة ضخمة واحدة. ويكفي أن يعرف أن ارتفاع العمود الخشبي الواحد منهما يعادل ارتفاع بناء مؤلف من خمس طبقات.

وعند بوابة القصر يقف جنديان حارسان لا يتحرك منهما شيء حتى عينيهما فكأنهما تمثالان وهما يغيران كل ساعتين.

وخلف القصر كنيسة عظيمة البناء سامقة الإرتفاع، تركبها التماثيل الكنسية المستوحاة من الديانة المسيحية بزعمهم لم يغيرها الشيوعيون أثناء حكمهم للبلاد.

وهي كنيسة مهمة عندهم لأن هذه البلاد كانت قاعدة للدعوة إلى المسيحية في القديم من هذه الكنيسة ومن مقر المسؤولين عن الكنائس في البلاد الذي لا يزال موجوداً حتى الآن بمعنى أنهم لا يزالون يستعملونه لهذا الغرض ويقع على الميدان نفسه وكانت الدعوة إلى النصرانية تنطلق منه حتى للأقطار البعيدة في القديم.

كنيسة مهمة:

وهذه الكنيسة مهمة أيضاً لمسيحيي هذه البلاد لأنه فضلاً عن بنائها الذي تأنقوا فيه، بل بالغوا به حتى ذكروا أنهم بدأوا ببنائها في القرن السابع عشر ولم تكتمل على ما هي عليه إلا في عام ١٩٠١ م.

وأهم من ذلك عندهم أن فيها مقدسات كنسية متعددة منها قطعة من صليب خشبي يزعمون أنه الصليب الذي صلب عليه المسيح بزعمهم وقد أحضروه إلى هنا - كما قالوا - في القرن الحادي عشر الميلادي أثناء الحروب الصليبية في فلسطين، وبعضهم قال: إنهم أحضروه من القدس.

وشيء مهم لهم آخر وهو أن قطعة من عظام قديس عندهم يسمونه (سان فنيس) موجودة في هذه الكنيسة أيضاً.

بدايات براغ:

ومن هذا الموقع المرتفع المهم يطل المرء على بدايات مدينة براغ التي بنيت في القرن السابع الميلادي، واستمر البناء والتوسع فيهـا حتى القرن الرابع عشر. وتقع في وادٍ أخضر منخفض تحيط به من جهة تلة جبلية هي التي عليها هذه الأمكنة المهمة، ومن الجانب الآخر تلة مرتفعة تركت غابة عذراء قد التفت أشجارها، وتفتحت أزهارها، وغنت أطيارها كما كان الأدباء القدماء يقولون في مثلها.

وهي ذات بيوت جميلة المنظر سقوفها من الآجر الأحمر، وهي مبنية من الحجارة والمجدد منها مبني بلبن الإسمنت، مسنمة السقـوف تنسيماً مشدوداً واقفاً. وذلك من أجل أن لا تتـراكم عليها ثلوج الشتـاء إذا كان تسنيمها مسترخياً.

وانحدرنا مع شوارع هذه المدينة القديمة المبلطة بالحجارة وأكثرها ليس شوارع مستقيمة وإنما هي أزقة تتسع وتضيق في بعض الأماكن.

ومن أغرب ما رأيناه فيها أن حاجزاً من الحجارة قد بني كما ينبى الجدار ليحجز جانباً جبلياً واقفا قد نمت أشجار بين حجارته فارتفعت من خلال الجدار الواقف بعد أن كانت منحنية في منظر بديع.

وكل ما في هذه الأحياء القديمة جميل ونظيف حاشا ما كان داخل بيوته فإننا لا نعرف عنه شيئاً، وحتى الناس الذين نراهم في الشوارع كلهم نظيف الثوب والبدن وإن كانت تبدو على بعضهم علائم نقص التغـذية، وعدم لبس الثياب الغالية.

ثم عدنا إلى الفندق مع ضواحٍ حديثة متباعدة لا يعدم المرء أن يرى في بعضها مداخن لمصانع مختلفة، لأن البلاد ذات صناعة مزدهرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مدينة براغ تضم مليوناً ونصفاً من النفوس كما تقدم من مجموع سكان الدولة التشيكوسلوفاكية التي يبلغ عدد سكانها ١٦ مليوناً تقريباً.

يوم الخميس ١٤١١/١٢/٢٩ هـ:

كان الإفطار اليوم مثل إفطار أمس في المطعم الكبير لهذا الفنـدق الكبير ومن مائدة مفتوحة حافلة بما لذ وطاب مما يأكله المرء في الصباح



تذكارية مع المسلمين في فندق أنترناسيونال في براغ

حتى اللبن الرائب الطبيعي وذلك كله داخل في أجرة الغرفة التي هي ٦٢ دولاراً أمريكياً يطلبونها بالعملة الأجنبية، لا يوافقون على الدفع بعملتهم المحلية، ولا بالعملات غير القابلة للتحويل ـ.

مغادرة تشيكوسلوفاكيا:

حزمنا أمتعتنا وحملناها في سيارة أجرة ضاقت بها ولكن سائقها احتال حتى جعل بعضها فوق ظهرها وتبين أنه أراد من ذلك أجرة إضافية حيث أخذ منا ٢٥٠ كروناً والمقرر الذي دفعناه عن المجيء إلى براغ هو ١٦٠.

وفي المطار لاحظنا وجوداً للعرب فيه بعضهم من السياح والتجار وبعضهم من الطلاب، وهناك قوم من الجنس الأصفر يغلب على الظن أنهم من اليابانيين.



شارع حديث في براغ

وقد وجدنا عقوداً وقلائد من الكريستال التشيكي المشهور رخيصة الثمن، جيدة النوع، تتموج بألوان ملونة زاهية أمام النور فاشترى منها من اشترى وبعضهم اشترى أشياء رخيصة أيضاً حتى أربطة العنق الفرنسية وجدناها أرخص منها في بلادها الأصلية فرنسا.

وذلك أن الدول الشيوعية تشتري أمثال هذه السلع الأجنبية بالمقايضة أي مقابل سلع من سلعها التي تنتجها.

ولم تكن لدينا سمة دخول إلى المجر التي سنسافر إليها من تشيكوسلوفاكيا وذلك أنهم ذكروا أنه يمكننا أن نحصل عليها من مطار الوصول. فطلب منا موظف الترحيل في المطار أن نتعهد لهم تعهداً شفهياً بأنه في حالة عدم منحنا سمة الدخول إلى المجر فإننا سنعود على نفقتنا وليس على نفقة الشركة.

وقد تبين أن مطارهم صغير لا يصل اتساعه إلى اتساع مطار من مطارات المقاطعات عندنا كمطار المدينة المنورة أو مطار القصيم.

وقابلنا مديرة الشركة التي كانت حجزت لنا في فندق ناسيونال فطلبنا منها أن تحجز لنا غرفاً في أحد الفنادق المناسبة في بودابست، ففعلت وأخبرتنا أنها حجزت غرفاً في فندق جيد يقع على ضفاف الدانوب بأجرة ٧٩ دولار ونصف للغرفة الواحدة لليلة الواحدة.

وقبيل إقلاع الطائرة تكررت رؤية الأعشاب الخضر الملتفة التي تحيط بمدارج المطار وتمتد على مدى البصر وقد وشحتها زهرات صفر برية أي غير مغروسة وكأنها زهور الربيع في بلادنا عندما يكون الغيث قد جادها بوابل صيب متكرر.

إلى بلاد المجر

من براغ إلى بودابست:

كان سفرنا مع شركة الطيران التشيكي الذي قدمنا معها وطائرتها من طراز توبوليف ١٥٤ الروسي الصنع كالتي قدمنا عليها مع هذه الشركة إن لم تكن هي بالذات.

وكان قيامها في الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ضحى متأخرة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل بخمس دقائق وأكثر الركاب فيها هم من البيض الشقر ذوي المظهر الأوروبي الأصيل ومعهم عدد محدود من الصفر سكان آسيا الشرقية وعدد أقل من العرب السمر أمثالنا، وهي مليئة المقاعد بالمسافرين.

كان الجو صاحياً بل شامساً، ولذلك عندما نهضت الطائرة اتضحت رؤية المنطقة الخضراء الجميلة التي تحيط بمدينة براغ، وحتى المنازل الريفية فإنها جميلة ذات سقوف حمر ومنظر أنيق.

وظهر الريف أكثره حقول متسعة لأنه لا يزال أراضي زراعية حكومية كبيرة.

واستمر منظر الخضرة الندية حتى اعترضت قطع من الغيم الأبيض التي بدت أعاليها ناصعة البياض طريق الطائرة.

والطيران هادىء بل ناعم ليس فيه اضطرابات ولا انخفاضات وقد



مع الأخ المسلم في براغ

عهدنا ذلك من الطائرات النفاثة الروسية في الإتحاد السوفيتي عندما ركبناها في أنحائه المتعددة.

وما رأيت مثل الطائرات الروسية النفاثة هدوءاً في الجو ونعومة في



تذكارية في مطعم المأكولات البحرية في براغ.. في أيمن الصورة الأخ عبد الحكيم فون فالمؤلف فالأستاذ حاتم قاضي

الطيران ـ على كثرة ما ركبته من الطائرات في أرجاء العالم كله.

ثم قدمت المضيفتان الضيافة وهي صحن صغير فيه شرائح من الجبن الأصفر المبطن بلحم خنزير أحمر عفناه ورددنا الصحن بما فيه على أمل أن يبدلوه لنا بشيء حلال فلم يفعلوا فأكلنا خبزاً مأدوماً بزبد.

ثم قدموا على عادتهم هدايا لمن أسموهم ركاب درجة رجال الأعمال وهي زجاجة صغيرة من شراب رددناها فلم يعوضونا عنها غيرها.

في مطار بودابست:

بدأت الطائرة التدني قبل أن تصل المطار بفترة فوق أرض خضراء ولكنها أقل خضرة من الأرض التشيكية وهي أيضاً حقول متسعة بينها أراضٍ متروكة لم تِزرع بغية إخصابها وبعضها بقايا قمح حصيد.

ثم بدت ضواحي المدينة جيدة إلا أنها أقل جودة أيضاً في النظر من الطائرة من ضواحي براغ ـ ومع ذلك فهي منسقة مرتبة.

وبعد ٥٥ دقيقة من الطيران هبطت الطائرة في مطار بودابست في الساعة الثانية عشرة والربع ظهراً، وذلك بتوقيت براغ الذي هو توقيت بودابست وهو متأخر ساعة واحدة عن توقيت بلادنا.

ولاحظت أن الأعشاب التي تحيط بمدارج المطار هي أقل خضرة وربيعاً من الخضرة التي تحيط بمدارج المطار في براغ، بل إن بعض الأعشاب التي تحف بالمطار هنا جاف كالأعشاب التي رأيناها في مدارج المطارات في ألمانيا.

والمطار أكبر من مطار براغ وبخاصة أبنيته ومكاتبه فهي أوسع من أبنية مطار براغ ومكاتبه ولكنه مع مكاتبه وأبنيته لا يعد شيئاً بالنسبة إلى مطارات بعض الدول العربية كالأردن التي يعد مطار عمان فيها من المطارات الكبيرة سواء من حيث المدارج أو من حيث الأبنية والمكاتب وعدد الطائرات التي تنزل فيه أو تقلع منه وعدد الركاب الذين يستعملونه.

وقفت الطائرة بعيدة عن مبنى المطار فأحضروا حافلة كبيرة حملت الركاب فليس في مطاراتهم دهاليز متحركة يدخل فيها الركاب من الطائرة.

هكذا رأينا الحال في مطار برلين الشرقية وبراغ وبودابست هذه.

وتذكرت المرة الماضية التي زرت فيها بودابست ولكنها كانت بطريق البر، وقدمنا إليها من بلغراد عاصمة يوغسلافيا. فلم ننزل في هذا المطار وإنما غادرناه في وقت الليل إلى بوخارست عاصمة رومانيا ـ وذلك في عام ١٤٠٥ هـ.

كانت المشكلة التي قابلتنا أننا لم نكن نحمل سمات دخول إلى المجر، ولكننا وجدناهم أعدوا مكتباً خاصاً قبل منطقة الجوازات كتبوا عليه (فيزا) وجاء ضابط لمساعدتنا غير أن الذي يصرف النقود كان غائباً ولا يمكنهم قبول عملة غير عملتهم. وقد أبطأ الرجل ولكنه عندما حضر أنهى

كل شيء يتعلق بالسمة بسرعة وأخذوا ٢٤ دولاراً رسما لسمة دخول لا نريد أن تستمر أكثر من يومين أو ثلاثة.

ولم نقف عند ضابط الجمرك بسبب الجواز السياسي.

وعندما خرجنا من تلك المنطقة وجدنا في استقبالنا طائفة من الإخوة المسلمين يتقدمهم الدكتور عبد الله عز الدين. وهو طبيب سوداني يدرس في المجر ويعمل الآن طبيباً في مستشفى حكومي وهو يجيد اللغة المجرية، بل هو يقول: إن عمله في المستشفى أكسبه معرفة بالكلمات العامية وبمجازات تلك اللغة ومناحي الكلام فيها - والأخ الدكتور حسني مصطفى وهو فلسطيني يحمل شهادة الدكتوراة في الهندسة ويعمل أستاذاً في جامعة بودابست. والدكتور محمد أحمد الحاج وهو سوداني والأخ الهادي الماهل (جزائري) فانتقلنا إلى

مدينة بودابست:

وبدأت منازل المدينة من المطار وامتدت مع امتداد شارع المطار المؤدي إلى المدينة فهي بذلك ناقضت مدينة براغ التي يبدأ الطريق من مطار في جو ريفي نقي جميل.

ومما زاد في الفروق بين الطريقين في البلدتين أن الطريق من مطار بودابست إلى المدينة كان ضيقاً مزدحماً جداً بالسيارات التي أكثرها سيارات خاصة وبسيارات أجرة مما ذكرني بما كنت قد رأيته في الرحلة السابقة إلى هذه البلاد وهي أن المجر فيها أكبر نسبة من سيارات الركوب الخاصة أكثر من أية دولة شيوعية أخرى بالنسبة إلى عدد سكانها. ومستوى اقتصادها، وحتى ضواحي مدينة بودابست هي أقل جمالاً وتنظيماً وحتى هي أقل في الخضرة النضرة من مثيلتها في براغ.

ونزلنا في الفندق الذي كنا حجزنا فيه من مطار براغ وهو فندق جيلبرت وهو فندق سياحي كبير ربما كان أوله قصراً من قصور الملوك أو الأعيان يدل على ذلك مدخله الضخم المزين بتماثيل عديدة منحوتة في واجهته الحجرية بأحجام ضخمة.

ومع ذلك رأينا غرفه التي أسكنونا فيها غير واسعة فلعلها في قسم منه حديث، إلَّا أن فيها كل ما يكون في فنادق الدرجة الأولى مع النظافة التامة والعناية بالغرف، ومن ذلك أن فيها تلفازاً مفتوحاً على محطة سي ان ان الأمريكية التي تذيع الأخبار العالمية في كل ساعة.

ويقع الفندق على شارع مهم مزدحم بالسيارات في حركة لها ضخمة لا تجد مثيلاتها إلا في البلدان الرأسمالية غير الشيوعية في العادة.

وطبيعي أن الحديث عن الشيوعية في هذه البلاد وفي غيرها من بلدان شرق أوروبا هو حديث عما كان وليس عما هو كائن لأنها جميعاً طلقت الشيوعية وأخذت تلهث تحاول اللحاق بركب الرأسمالية ولكنها لم تستطع حتى الآن لأن الشيوعية قد أفقرت بلادهم وكبلت عبادهم ومجرد التخلي عنها لا يجعلهم أغنياء سعداء على الفور كما هو ظاهر لأن للغنى شروطاً لا بد من توفرها ولا بد من إفساح المجال والوقت لها لكي تتحقق، إضافة إلى أنهم لم يستطيعوا التخلص من آثار الشيوعية كلها حتى الآن.

وتسير على هذا الشارع الذي يقع عليه الفندق عربات القطارات الكهربائية (الترمواي) الكثيرة التي لا يكاد ينقطع سيلها.

ومن جهة أخرى يقع الفندق على شارع النهر الذي يسمى شارع الكورنيش وهو الواقع على نهر الدانوب، أشهر الأنهار الأوروبية التي تمر بعدة دول.

وقد تناولنا طعام الغداء اليوم مع الأخ الدكتور عبد الله عز الدين في شرفة في الطابق الأول من هذا الفندق تطل على نهر الدانوب. وإن كان الجو حاراً هنا فهو كأيام الصيف المعتادة في القاهرة ودمشق أو أشد حراً وهو بكل تأكيد أشد حراً من الطائف.

وقد تضايقنا من الحر في الغرفة وخارجها.

وكان الغداء غالياً وهو من السمك والحساء والخضرات ثم الفاكهة والقهوة والشاي فكان ثمنه عشرين دولاراً أمريكياً لكل شخص ولا يقبلون

ممن يسكن عندهم أن يدفع بغير العملة الصعبة، ولا شك في أن مثل هذا الطعام في مطاعم براغ الخارجة عن نطاق الفنادق السياحية أي التي تتقاضى ثمنها بالعملة المحلية لا يزيد على خمسة دولارات، ولم نعرف مستوى الأسعار في هذه البلاد خارج الفندق حتى الآن.

اللقاء الإسلامي:

كان الإخوة العرب الذي استقبلونا في المطار قد عرفوا موعد وصولنا من قبل وحددوا موعداً للقاء إسلامي في بيت أحدهم وهو الدكتور حسني مصطفى.

وذلك في السابعة من بعد الظهر. وكنا حاولنا أول وصولنا إلى بودابست الإتصال بالأستاذ الدكتور عبد الرحمٰن المهاليفي رئيس الجمعية الإسلامية المجرية وهو رجل يتعامل مع الرابطة بصفته تلك، ودفعت للجمعية معونة مالية لقيامها بالعمل الإسلامي - فلم نجده في المدينة وقال الإخوة المسلمون إنه ذهب إلى إيران في التماس المعونة للجمعية من هناك. كما أننا علمنا أن المقر الذي كان قد فتحه للجمعية هو مغلق الآن، ولم يستجب لندائنا وإن الجمعية تستأجر مكاناً في آخر الأسبوع للإجتماع فيه في العادة.

ذهبنا إلى بيت الأخ الدكتور حسني مصطفى وهو فلسطيني يحمل شهادة الدكتوراة في الهندسة، وقد حصل على الدرجة الأولى بين الذين كانوا معه في الإمتحان من المجريين وغيرهم حتى إنه حاز في المادة التي امتحن فيها على الدرجات كلها أو ١٠٠٪ كما قالوا، لذلك سارع المجريون فعينوه أستاذاً في جامعتهم تقديراً لنبوغه، وأعطوه الراتب الذي يعطونه لمواطنيهم من الأساتذة في الجامعة، ولكنه راتب قليل لا يزيد على ما يعادل ٢٥٠ دولاراً أمريكياً في الشهر ويقول الدكتور حسني إنه لا يكفيه رغم كونه يسكن في شقة للدولة مؤجرة إيجاراً رخيصاً.

وقد عقدنا الإجتماع في شقته تلك وتقع في الدور الأرضي من بناء مكون من خمس طبقات. دخلنا إلى بيت الأخ حسني يصحبنا الأخ الدكتور

عبد الله عز الدين السوداني فألفينا فيه طائفة من النساء الشابات المتسترات اللائي لا يظهر من أجسادهن غير الوجه والكفين ويلبسن ملابس واسعة سابغة ولكنها جميلة نظيفة. وهن يعملن في تنظيف البيت وفي المطبخ، وقال الأخ الدكتور حسني إن أهلي غير موجودين الآن في المجر لأن الوقت وقت إجازة وهؤلاء الأخوات المسلمات اللائي جئن لحضور اللقاء الإسلامي أبين إلا أن ينظفن المطبخ ويرتبن البيت.

وكنا قبل الوصول إلى بيته رأينا في الشارعين فتاتين مجريتين نظيفتين تلبسان ملابس واسعة ساترة فقال الأخ الدكتور حسني: إنهن جئن لحضور اللقاء الإسلامي.

وجدنا في بيت الدكتور حسني ثلاثة من الإخوة المسلمين أحدهم فلسطيني وإثنان من السودان، ثم أخذ الإخوة المسلمون يتقاطرون على الدار حتى ضاقت بهم القاعة الصغيرة من الدار التي كانوا يجتمعون فيها، فجلس بعضهم وسط الحلقة على الأرض.

كان عدد الحاضرين يبلغ حوالي ١٤ شخصاً أو يزيد قليلاً. أكثرهم من المسلمين المجريين حدثاء العهد بالإسلام.

ألقيت فيهم كلمة بينت فيها الغرض من قدومنا إلى مدينتهم وأوضحت لهم مهمة رابطة العالم الإسلامي وأنها التعاون مع الإخوة المسلمين على البر والتقوى، عملاً بقوله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾. وقلت لهم: إننا مستعدون لمساعدة الإخوة المسلمين في هذه البلاد على أمور دينهم شرط أن تكون لهم جمعية مسجلة في الدولة ومعترف بها رسمياً وإن مساعدة الرابطة لهم تشمل مجالات عدة منها المساعدة على شراء أرض للمركز الإسلامي ثم المساعدة على بنائها، وكذلك في تخصيص مساعدة شهرية لإمام المسجد أو الداعية للمركز الإسلامي بعد أن يفتح.

والمهم هنا من عقد هذا اللقاء الإسلامي بهم هو التعارف الذي هو أول مراحل التعاون ثم سماع ما لديهم عن أمور دينهم وما يريدون أن يبلغوا به الرابطة من تلك الأمور.

ثم تكلم الأخ الأستاذ (حاتم حسن قاضي) رفيقنا في وفد الرابطة بكلمة مناسبة، وتركنا الفرصة لهم بعد ذلك للكلام فبدأ أحد الإخوة المجريين الذي حضر مع زوجته وهي مثله حديثة عهد بالإسلام لم يمضِ على إسلامهما أكثر من ثلاث سنوات فذكر أنه لا توجد لهم جمعية إسلامية منظمة وأن الجمعية التي يقوم عليها الدكتور عبد الرحمن المهاليفي باسم المسلمين المجريين ليست عاملة عملاً مجزياً فلا مقر للجمعية ولا مسجد للمسلمين ولا ديمقراطية في الإجتماع.

وأطال الكلام في ذلك وفي ذكر هذه الجمعية، ثم تكلمت امرأة من الأخوات المسلمات المجريات وهي قوية الشخصية اسمها مريم وأسلمت قبل ثلاث سنوات أيضاً، وتعمل في مصنع وهي غير متزوجة فأيدت كلامه في الجمعية وأنه ليس للجمعية مقر وليس للمسلمين مكان يصلون فيه.

ثم تكلمت امرأة أخرى اسمها إيمان وهي أخت مجرية أسلمت حديثاً، بل لا حاجة إلى القول بأن المسلمين المجريين أسلموا حديثاً لأنهم كلهم فتكلمت أيضاً عما أسمته سوء الإدارة في الجمعية الإسلامية وقالت: إنها جمعية باسم المسلمين المجريين ولكنها لم تفعل لهم شيئاً وإنها عندما أرادت أن تؤيد رأيها في إصلاح الجمعية وتكسب له أنصاراً فصلوها من الجمعية والسبب في ذلك هو عدم روح التشاور والتآخي في الجمعية، وذكروا جميعاً أن المسئولين أخبرهم أن الجمعية لم تتلقَ أية إعانة مالية من أي بلد عربي، وأنها لذلك لا تستطيع أن تجد ما تحتاجه من مكان للإجتماع فضلاً عن مركز إسلامي أو مسجد للصلاة.

فذكرت لهم أن أمير الكويت كان قد تبرع بوساطة الرابطة بخمسين ألف دولار للمسلمين المجريين وأن الشيك المتعلق بذلك صدر من الرابطة واقترحنا في الرابطة أن يبقى (الشيك) في سفارة الكويت في المجر إن كان لها سفارة فيها، أو في سفارة مسلمة أخرى حتى يصرف منه لبناء المركز

الإسلامي المرجو أن ينفع المسلمين إذا حصلوا على أرض مجانية من الحكومة حسب مراحل البناء وإن (الشيك) هو باسم الجمعية وليس باسم أحد من أعضائها.

والعلاج؟:

فسألتهم عن العلاج الذي يرونه لإصلاح حالة المسلمين هذه التي ذكروها فقالوا: إنه يكمن في إنشاء جمعية إسلامية جديدة تعمل للمسلمين عملاً صحيحاً، ولكن كيف يكون الإتصال بالإخوة المسلمين من الخارج إذا تم ذلك وهم يرونهم متفرقين متنازعين؟.

إنشاء جمعية نسائية مسلمة:

قالت إحدى الأخوات المسلمات إن حوالي ٨٠- إلى ٩٠٪ من المسلمين هم من النساء فنحن أكثرية مطلقة بين المسلمين المجريين، ولذلك يكون الحل في إنشاء جمعية إسلامية نسائية مجرية.

والواقع أن الأمر كما قالت من كون الأكثرية من المسلمين المجريين هم من النساء، فالحاضرون من المسلمين المجريين الأصلاء كلهم من النساء ما عدا رجلاً واحداً، وقد أخبرنا الإخوة العرب الحاضرون بأن الأمر صحيح وأن أكثرية المسلمين هنا هم من النساء لأن النساء وبخاصة الشابات منهن هن أكثر إقبالاً على الدخول في الإسلام من غيرهن.

وعلل بعضهم ذلك بكونهن يقرأن ما يأمر به الإسلام حول الأسرة المسلمة التي لا يوجد في الديانة المسيحية ولا في المذهب الشيوعي الذي كان سائداً في المجر مثله.

وقال آخرون: إن السبب في ذلك أن المرأة المجرية مظلومة فهي تعمل كما يعمل الرجل. ويكون الرجل يتجاهلها في أكثر الأحيان ويتطلع إلى غيرها ممن هن أصغر سناً منها ولو كان متزوجاً. وضربوا مثلاً على ذلك بأخت حاضرة هي من أكبر الحاضرات سناً ويبلغ عمرها حوالي الثامنة

والثلاثين ولها ولدان بأنها أسلمت وطلقت زوجها المجري وبقيت دون زواج - والحقيقة أننا فوجئنا بمستوى فهمهن للدين الإسلامي وممارستهن له مع أنهن أو أكثرهن هن من الشابات الجميلات اللائي يبلغ متوسط العمر بينهن اثنين وعشرين عاماً.

ولذلك يحرص الإخوة المسلمون العرب على تعريف الطلاب بهن والتوسط لزواجهم منهن لما يوفره ذلك للطالب من فرص عمل وإقامة، ولما ينشأ عن ذلك من إيجاد أسرة مسلمة مستقرة في هذه البلاد.

قالوا: وقد تزوج بعضهن بعض الطلاب المسلمين وكان الزواج ناجحاً، وذكروا من ذلك زواج بعض السودانيين المتعلمين الذين صاروا يعملون في هذه البلاد أطباء أو خبراء بعد التخرج.

وبعد البحث الطويل ومشاركة الإخوة المسلمين العرب أجمع الرأي على أن الحل لا يكمن في إيجاد منظمة أو جمعية جديدة لأن ذلك مدعاة للتفرق والتشرذم وإنما يكمن في إصلاح حال الجمعية الحالية وذلك بالإنضمام إليها والعمل معها.

وقد أخبرناهم أننا لا نتدخل في شؤونهم الداخلية ولا نشير بتأليف جمعية جديدة ولا بأية إجراءات من جانبهم تجاه الجمعية القديمة لأننا نعتبر أن ذلك من الأمور الداخلية التي يمكن لهم أن يسووها بأنفسهم. وإنما نحن نساعد من نرى أن عمله عمل صالح من الأشخاص والجمعيات، وقد أحطنا علماً بكل ما ذكروه عن الجمعية الإسلامية المجرية القائمة وعن غيرها من الأمور المتعلقة بشؤون المسلمين.

وقد امتد الإجتماع حتى العاشرة إلا الثلث ليلاً في نقاش مستمر. لم نستطع معه الإتصال بأحد من المسؤولين في الجمعية الإسلامية المجرية لنسمع رأيها في هذه الأمور، لأن الدكتور عبد الرحمن المهاليفي غائب عن البلاد، والشخص الذي ذكروا أنه هو الناطق الرسمي باسم الجمعية وأنه موجود في بودابست لم نستطع الإتصال به لأن الهاتف في بيته لا يرد، وليس للجمعية مقر أو مكتب أو هاتف معين.

وقبل انتهاء الإجتماع سألتهم سؤالاً كثيراً ما سألت عنه غيـرهم في بلاد الأقليات المسلمة وهو هل المسلمون يزيدون؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تكن زيادتهم أكثر مما هي عليه الآن؟

وقد أجابوا بكل تأكيد بأن المسلمين يزيدون وأن هؤلاء الحاضرين كلهم من المسلمين الجدد. ومن المعروف عندهم أنه لو كان في البلاد دعاة مأهلون وجمعيات أو مؤسسات تعني بالمسلمين الجدد لتضاعف عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة.

يوم الجمعة ١٤١٢/١/١ هـ:

حر بودابست واعتدال الرياض:

شعرنا بالحر منذ أن وصلنا إلى بودابست فهي أشد حراً من براغ وإن كنا قد شعرنا بالحر في براغ هذا حتى كنت مع الرفاق قد قربنا أسرة النوم من النافذة، وفتحناها لأننا لم نستطع النوم من الحر في الغرفة دون ذلك.

وهكذا الحال في بودابست البارحة فقد ألح علينا الحر وكانت نافذة الغرفة مستطيلة غير مشرعة.

وعندما هاتفت أهلي في الرياض هذا الصباح سألتهم عن الجو عندهم فأجابوا بأنه حار، ولكنه ليس شديد الحر، وقد استمعت إلى نشرة الأخبار من إذاعتنا في هذا المساء فذكرت أن درجة الحرارة الكبرى بلغت في الرياض هذا اليوم ٤٠ درجة مئوية وهذه درجة معتدلة بالنسبة إلى الوسائل المتوفرة في بيوتنا لمقاومة الحر، وجو الرياض صحراوي ترتفع فيه الحرارة في وسط النهار ثم تهبط بسرعة في الليل. أما الجو في بودابست فإن درجة الحرارة فيه كما ذكر لنا الأخوة هي ٣٤، ولكن رطوبة الجو وعدم الفروق الكبيرة بين درجة الحرارة الكبرى والصغرى وعدم وجود مقاومات للحرارة يجعل الشعور بالحر شديداً.

حتى المراوح اليدوية التي كنا نستعملها لمكافحة ركود الهواء لم نرها تستعمل هنا ـ وذلك لأن الحر قصير العمر عندهم فأشده يكون في هذا

الشهر شهر حزيران (يونيو) والنصف الأول من شهر أغسطس الذي يليه، ثم يبدأ الجو بالإعتدال في النصف الثاني من أغسطس وسبتمبر حتى يصبح بارداً.

وكان طعام الإفطار في مطعم الفندق مفتوحاً وافراً متنوعاً.

وقد ذهب الرفاق لبعض شؤوننا فجلست في مقصف للفندق يفتح على الشارع أيضاً وقد نثروا موائده تحت ظلال أشجار وارفة إلا أن الحر فيه كان مزعجاً والشمس كانت حارة في وقت الضحى.

والخدمة فيه معتادة شأنها في ذلك شأن الخدمة في المؤسسات العامة الشيوعية فالفنادق ومنها فندقنا لا تزال حكومية، والموظفون فيها يعملون وكأنهم الآلات البطيئة لأنه لا حوافز لهم. ولذلك لا يجاملون من يأتي إليهم فضلاً عن أن يبتسموا له لأنهم يرون فيه عبئاً ثقيلاً وشغلاً إضافياً لا يرجون من ورائه فائدة.

جمعة بودابست:

لا يوجد في بودابست مصلى للمسلمين فضلاً عن أن يكون فيها جامع، حتى الجمعية الإسلامية المجرية المعترف بها رسمياً ليس لها مقر يصلي فيه أعضاؤها وغيرهم من المسلمين. ولكن ليس معنى ذلك أن صلاة الجمعة لا تقام في المدينة فهي كما بلغنا تقام في السفارة المصرية ولكنها تقتصر على موظفي السفارة ومن يأتي إليهم من موظفي السفارات ويمنعون سائر المسلمين من طلاب أو غيرهم من الدخول للسفارة لحضور الصلاة بحجة مقتضيات الأمن التي لا تتيح في عرف رجال الأمن أن تكون السفارة مفتوحة لمن شاء الدخول إليها.

كما يقول الإخوة المسلمون إن السفارة الليبية أيضاً تقيم صلاة الجمعة للعاملين فيها.

ولكن الجمعة المفتوحة لجميع المسلمين هي التي يقيمها اتحاد الطلبة المسلمين في المجر وهو جمعية كبيرة نسبياً ويقيمونها في قاعة في

بناء يملكه إتحاد الطلبة المجريين ويُسكن فيه الطلبة المجريين الذين يأتون إلى بودابست من خارجها.

فيعبرونهم القاعة ويسمحون لهم بإقامة صلاة الجمعة فيها دون أجر ولكن يحدث في بعض الأحيان إذا كانوا يحتاجون القاعة لبعض شأنهم أن يأمروا الطلاب المسلمين بسرعة إنهاء الصلاة أو بتأخيرها أو تقديمها قليلاً لئلا يتعارض ذلك مع حاجتهم إلى تلك القاعة.

دخلنا القاعة فوجدنا إخواننا من الطلبة المسلمين يتقاطرون بأعداد لا بأس بها ـ وهي قاعة واسعة وجدناهم فرشوها بفراش متوسط ووضعوا كرسياً بجانب الإمام لكي يستريح عليه بين الخطبتين.

وكان الإخوة المسلمون ما بين قائم يصلي وقارىء يتلو القرآن الكريم في هذه البلاد الكافرة فكان منظرهم يسر البصر والبصيرة.

وقد حضر للصلاة عدد لا بأس به أقدرهم بما بين السبعين إلى الثمانين وذكر الإخوة في أتحاد الطلبة المسلمين أن هذا العدد هو نصف العدد الذي يحضر الصلاة في المعتاد لأننا الآن في فصل الصيف فصل العطلة الدراسية بخلاف فصل الشتاء فإنه يحضر للصلاة ضعف هذا العدد حتى تضيق القاعة بهم.

وقد تأملت المصلين فوجدت أن ٩٠٪ منهم من العرب، وإن ٣٠٪ من هؤلاء العرب هم من الإخوة السودانيين فلهم حضور متميز في القاعة كما أن لهم نشاطاً في العمل الإسلامي.

أما غير العرب فإنهم من المجريين المسلمين وغيرهم كالهنود والبنغلادشيين على قلة في ذلك لقلة وجودهم في البلاد لا لقلة حضورهم للصلاة، كما حضرها ٣ من المسلمين الجدد من المجر وفتاة مجرية واحدة حديثة عهد بالإسلام لم يمضِ على إسلامها أكثر من شهرين، وحضرت متسترة محتشمة في زي جميل.

دخل إمام الجمعة وهو الدكتور عمر باوزير من حضرموت وهو

طبيب مختص بالأنف والأذن والحنجرة ويقيم في منطقة خارج بودابست ولكنه يحضر إلى هنا من أجل إمامة القوم في الصلاة لأنه بمثابة الإمام الراتب للجمعة.

حضر للصلاة وقد لبس لباسه الإفرنجي الكامل حتى رباط العنق.

فخطب خطبة جيدة وهو واقف على الأرض تضمنت موضوعات عدة من الرقائق والمواعظ والآيات والأحاديث النبوية وحتى الأبيات الشعرية.

وهي في الحقيقة خطبة وموعظة جيدة.

وكانت الخطبة الأولى هذه كلها بالعربية. خطب بعدها الدكتور عمر باوزير الخطبة الثانية باللغة المجرية فهو يحسنها لأنه درس في هذه البلاد كما أن عدداً من الحاضرين يعرفونها لهذا السبب أو غيره.

ثم أقام الصلاة أحد الطلبة المتبرعين وكان قد أذن قبل ذلك أذانين بصوت شجي خاشع. فقرأ الإمام في الصلاة قراءة خاشعة مؤثرة.

مذاكرة بعد الصلاة:

نهض الدكتور عبد الله عز الدين وقدمنا للمصلين ثم قال إننا ننتظر من رئيس الوفد فلان أن يلقي فينا كلمة فألقيت فيهم كلمة مرتجلة تضمنت توجيه النصح لهم لما ينبغي للمسلم في هذه البلاد أن يعمله وقلت: إن ذلك يتضمن ان ياخد المسلم نفسه بجميع ما يأمر به الإسلام من العبادات والمعاملات ليكون مثالاً للأخوة الفاضلة والسيرة الحميدة، كما كان أسلافنا من أهل الصدر الأول خير مثال للإنسانية الفاضلة لذلك كانوا خير دعاة للإسلام فأسلم الناس لما رأوا فيهم من العدل والإحسان وإرادة الخير للجميع.

وبينت لهم سماحة الإسلام ونقاءه وقلت: إن الأوروبيين يصفون الإسلام بأنه دين إرهابي وإن المسلمين إرهابيون متعصبون، ونحب أن نورد شاهداً على عكس ذلك في حالة هذه البلاد المجرية فقد حكمها المسلمون الأتراك مائة وستين سنة ولو كانوا متعصبين لأجبروا أهلها على الإسلام أو

لقتلوهم ولم يفعلوا شيئاً من ذلك لذلك بقي أهلها على دينهم حتى الآن، وحتى في إسبانيا التي حكمها المسلمون مدة تزيد على سبعمائة سنة، لم يجبروا أهلها على اعتناق الدين الإسلامي وعندما استرد الأسبان حكمها أجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية واستعبدوهم، ثم صاروا يفتشون عنهم فيطردونهم أو يقتلونهم.

وأعلنت تبرع الرابطة بأجرة مقر لإتحاد الطلبة المسلمين يجتمعون فيه لأننا عرفنا أنهم لا يوجد لهم مقر أو مكتب.

وبعد الإنتهاء من الكلمة جرت مذاكرة ما بيننا وبين بعض الطلبة في المسجد الذي هو قاعة معارة لهم كما سبق.

مع الطلبة المسلمين:

وبناء على موعد سابق حضر أربعة من أعضاء اللجنة التنفيذية الحالية للطلبة المسلمين وبعض أعضاء اللجنة القديمة، وذلك لبحث الأمور المتعلقة بما يحتاجه الإتحاد المذكور وما يمكن أن تقدمه له الرابطة من مساعدات في هذا الشأن ولم يحضر رئيس الإتحاد لأنه يسكن في مدينة أخرى خارج بودابست.

وقد أخبرتهم بتبرع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لهم بخمسة آلاف دولار أجرة مكتب لهم يستأجرونه لمدة سنة وألفين وخمسمائة دولار ثمناً لآلة تصوير وآلة كاتبة عربية ذكروا أنهم في أمس الحاجة إليهما، وألفين وخمسمائة دولار لتسيير الأمور الإدارية للإتحاد خلال السنة ويمكنهم أن يكتبوا للرابطة عند تمام السنة ليطلبوا تجديد التبرع إذا كانوا لا يزالون في حاجة إليه، وقد سرهم ذلك فشكروه وقدروه.

وقد شكوا مر الشكوى من عدم وجود مسجد في مدينة (بودابست) وذكروا أن جميع أهل الأديان المعترف بها هنا لهم أماكن عبادة حتى الأديان الجديدة المبتدعة ما عدا المسلمين فليس لهم مسجد أو مركز إسلامي.

وذلك رغم غنى بعض المسلمين دولاً وأفراداً.



في منزل الدكتور مصطفى حسين في بودابست

وذكروا أن وفداً زارهم من هيئة الإغاثة الإسلامية ووعدهم بشراء منزل يكون مقراً لهم ويكون فيه مسجد وغرف إضافية أخرى غير أن ذلك الوفد غادرهم ولم يعرفوا بعد ذلك عنه شيئاً. وذكروا أن ذلك المنزل معروض للبيع بمبلغ ٢٤٠ ألف دولار أمريكي.

في حي شعبي.

كلمة (شعبي) تدل في بعض البلدان على التأخر وعدم النظافة ولكنها هنا تدل على البيوت المنفردة ذات الطابق أو الطابقين أي غير ذوات الطوابق المتعددة.

ويسمى ذلك الحي (حي رقم ٢٢)، والقصد من الذهاب إليه هو



أخوات مسلمات مجريات

رؤية المنزل الذي تقدم ذكره،

ركبنا مع الأخ الدكتور محمد الحاج وهو طبيب سوداني تخرج من هذه البلاد ويعمل فيها الآن، وهو متزوج من زوجة مجرية ورزق منها بأولاد، وكان معنا الدكتور عبد الله عز الدين فاخترقنا الوسط التجاري القديم لمدينة بودابست وهو فاخر واسع الشوارع رغم قدمه، باسق الأشجار، كثير التزيينات تخترق شوارعه الواسعة خطوط القطارات الكهربائية (الترام) وتقع عليها المتاجر الضخمة التي كانت أو كان أكثرها قد بني قبل أن تبتلى البلاد بالشيوعية.

غير أن التجارة الرائجة لم تحل فيه حتى الآن إذْ كانت الشيوعية قد استولت على هذه المتاجر فحولتها إلى محلات لبيع البضائع الحكومية ليس غير. ولم تستفق هذه المتاجر بل لم تفق البلاد كلها بعد الشيوعية وإن كانت قد هجرتها إلا أن عقلية الموظفين لا تزال متأثرة بالعقلية الشيوعية وأنظمة البلاد لا تزال بحاجة إلى تطوير.

والأهم من ذلك أن البلاد لم تملك ما يجعلها تجني ثمار تركها الشيوعية وعودتها إلى النظام الإقتصادي الحر.

صعدنا إلى حي مرتفع عن قلب المدينة في تلة متطامنة فصارت الشوارع أضيق والأرصفة أصغر إلا أن النظافة لا تزال هي السائدة وأشجار الأرصفة وارفة الظلال وبعضها قد أثقلتها ثمارها، ومن ذلك أشجار الجوز المسمى بعين الجمل وأشجار العنب التي تتدلى من حيطان المنازل على الأرصفة ـ ووقفنا في هذا الحي الشعبي ذي البيوت النظيفة، ولاحظنا أن أكثر ما فيه هي اللافتات التي تبين أسماء الشوارع واتجاهات السير. وبعض البيانات الأخرى.

أوقفنا السيارة على جانب الشارع ثم دخلنا نسير على أقدامنا إلى زقاق جانبي فوجدنا البيت المذكور يقع في أرض واسعة ترفرف فيها أشجار الفاكهة ويبلغ مجموع أرضها (٢٤٠٠) متر مربع، فوجدنا مالكها موجوداً وهو كهل متغضن الوجه، مسترخي البطن. حائل اللون تبين لنا أن سبب ذلك هو من كثرة معاقرته الخمر.

فذكر أنه كان مسئولاً حكومياً سابقاً وأنه مدير في النظام الشيوعي السابق ولذلك ملك هذه الأرض التي يقع فيها بيت مؤلف من ٣ طبقات.

تقدمنا الرجل إلى داخل البيت وذكر أنه يعيش فيه وحده لأنه قد طلق زوجته وله ابنتان واحدة منهما تسكن بعيداً عنه، ولذلك يرغب في بيع هذا البيت الكبير والسكن في غيره أصغر منه.

فأرانا أول ما أرانا منه حجرة تحت الأرض في الفناء المكشوف ينزل إليها بدرج، وقال وهو يشير إلى أوعية كبيرة (براميل) من الخمر: هذا مخزن للخمر، فقلنا له: إننا لا نريده لأننا مسلمون لا نشرب الخمر.

فذكر أنه يعصر خمره بيده وأنه يشرب منها، فلما لمناه على ذلك قال: العنب خلق لنا لنعصره، فقلنا: بل خلقه الله لنا لنأكله.



اجتماع المسلمين في منزل د. حسني مصطفى في بودابست

وفي مطبخ المنزل نادى امرأة كانت في حجرة بعيدة من المنزل فأحضر جعة وعصيراً من عصير الخوخ فشربنا العصير ورفضنا الجعة فقال: إنني أشرب كل يوم عشر قوارير من هذه الجعة - فقال بعضنا لبعض: إن هذا واضح من هذه التغضنات والتغيرات في وجهك.

ووجدنا البيت مؤلفاً من ٣ طبقات بالفعل وهو كثير الغرف إلا أن غرفه وممراته ضيقة.

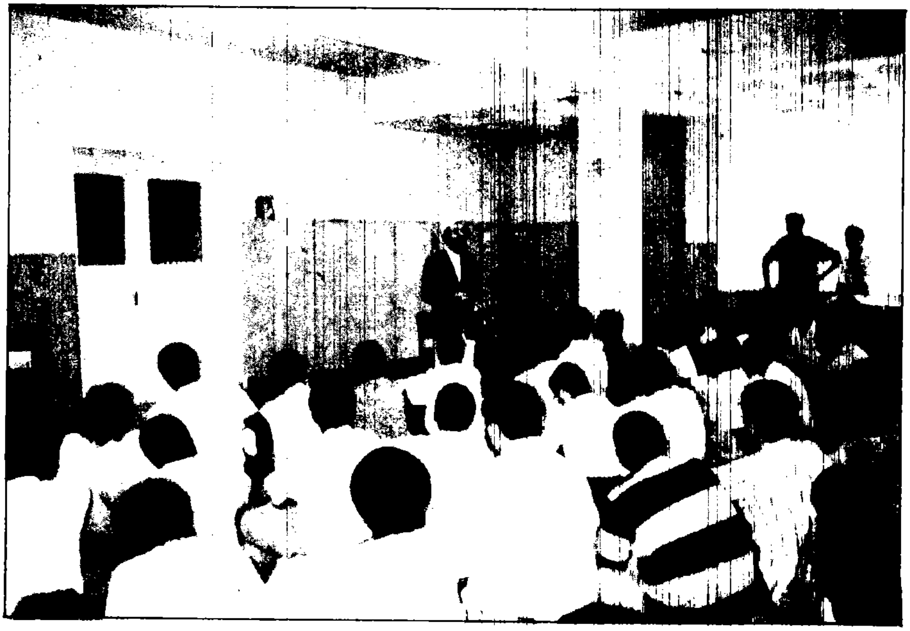
وبعد التجول في البيت خرج بنا يرينا حديقته التي كانت مثقلة بالثمار من عنب عجيب صغير الأشجار ولكنه كثير الثمار وإن كان حمله لا يزال صغيراً ومن خوخ ودراق وكرز.

والعجيب أن التربة يابسة، ولكن الأشجار والأعشاب كلها خضراء نضرة وقال: نحن لا نسقي الحديقة، بل تشرب كلها من المطر.

وليس هذا مقتصراً عليه، بل لاحظنا أن أشجار الشوارع وزهورها وأعشاب الأماكن الخالية من البنيان كلها خضراء مع أن التربة يابسة الآن - ولكن المطر يأتيهم في العادة في هذا الشهر وقد أصابهم مطر كثير قبل أيام.

على نهر الدانوب:

سبق أن زرت مدينة بودابست هذه قبل سبع سنين، وبقيت فيها أربعة أيام، ونوهت يومها بما وجدته فيها من ضخامة وفخامة لم نكن قد سمعنا بها عنها من قبل، وذكرت جولة سياحية قمنا بها في ذلك الحين، ولذلك لم أجدني بحاجة إلى القيام مرة ثانية بجولة واسعة فيها وإنما اشتقت إلى معاودة النظر إلى نهر الدانوب وهو ينساب مفعماً بالمياه وسط جمال فائق من أبنية سنية قديمة ومن ضفاف خضر منسقة.

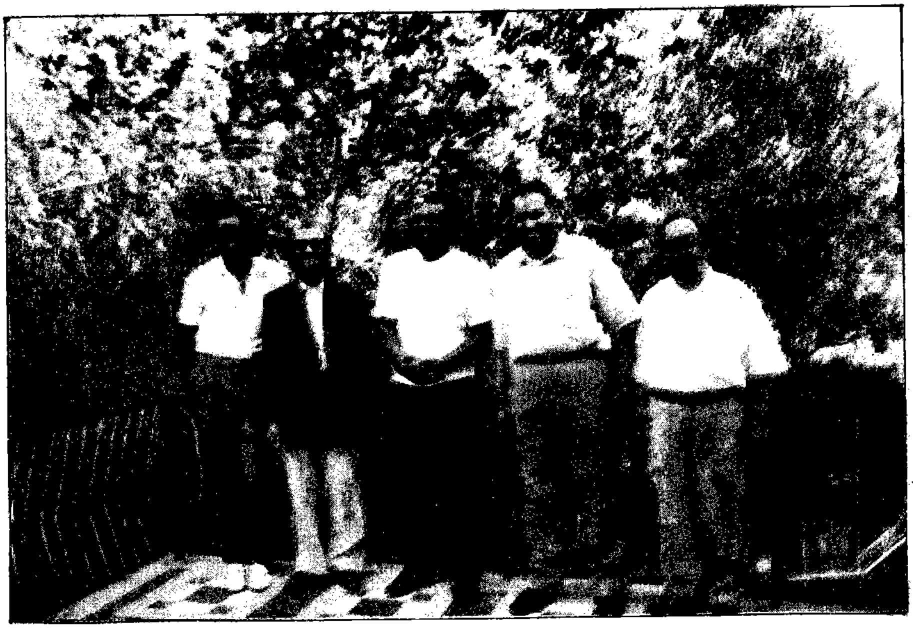


المؤلف يتكلم بعد صلاة الجمعة في بودابست

إلا أنه يكاد على حياته واصطخابه يعتبر نهراً ميتاً لا ينتفع بمياهه للشرب. ولا لأوجه أخرى من أوجه الإنتفاع وذلك لكثرة ما يقذف فيه من سموم تخلفها المصانع في البلدان التي تقع على ضفافه وهي بلدان متعددة.

قالوا: ولا ينتفع من مياهه إلا في توليد الكهرباء. وأما الشرب فإن مدينة بودابست نشرب من عدة ينابيع موجودة في الأماكن التي تحيط بها.

ذهبنا للتمشي على ضفاف الدانوب في السابعة والنصف وهو قريب من فندقنا لا يفصل بينهما إلا شارع عريض هو الشارع الذي يقع عليه النهر. فاستجلينا منظره وأعدت النظر إليه، ولم أعد النظر فيما قلته عنه قبل ذلك من أن هذه البلاد المجرية عظيمة الحظ من المياه حيث يجري فيها



في شرفة المبنى الذي يراد شراؤه في بودابست المؤلف على يساره د. عبد الله زين الدين وعلى يمينه د. محمد الحاج فالأستاذ حاتم قاضي فالأستاذ رحمة الله بن عناية الله.



المؤلف في بودابست على نهر الدانوب.

مثل هذا النهر ولا تحتاح إلى مياهه لأي شيء إلا فيما يتعلق بالصناعة وتوليد الكهرباء.

والتقطنا صوراً تذكارية حوله.

ثم أكملنا جولتنا فيما حول الفندق مما هو قريب من ضفة النهر الشرقية التي يقع فيها فندقنا فرأينا كثرة وسائل النقل من عربات (ترام) وحافلات كهربائية وحافلات معتادة، ولذلك لا يشكو الناس من التنقل داخل المدينة.

كما أن المرافق العامة من محطات الحافلات، ومواقف السيارات، وانعطافات الشوارع وإشاراتها ومن الأرصفة والشوارع كل ذلك جيد منظم مما يؤكد القول الذي قلته قبل ذلك في مدينة (بودابست) بأنها عاصمة جليلة من عواصم دول أوروبا الشرقية ـ بل إنها عاصمة ضخمة لأن عدد

سكانها يبلغ الآن ثلاثة ملايين ونصفاً من مجموع سكان دولة المجر الذي يبلغ أحد عشر مليوناً.

وكنت قلت إنها أحسن عاصمة أوروبية شرقية رأيتها، والمراد بالدول الشرقية الدول التي كانت شيوعية في ذلك الوقت أما في هذه المرة التي رأيت فيها مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا فإنه يمكنني أن أقول إن بودابست عاصمة جليلة وإن (براغ) عاصمة جليلة أيضاً ولكنها جميلة. رغم كون سكان براغ لا يزيد عددهم على مليون ونصف.

وأما أهل المجر فإنهم مثل أهل تشيكوسلوفاكيا من البيض الشقر الذين لا تجد فيهم واحداً أسمر.

كما أن الرشاقة في الأجسام، والأناقة في الهندام هي السائدة بينهم، ولو تطلبت بينهم غليظا من غلاظ الأجسام كالكهول والكهلات من الروس لم تجده.

ومن أخلاقهم الظاهرة الواضحة محبتهم للغريب، واللطف في معاملته. وعدم الشعور بالإستعلاء على الغير رغم ماضيهم الذي حكموا فيه بلاداً خارج بلادهم من البلدان الأوروبية، وينبغي أن يتذكر المرء وهو يتكلم على هؤلاء المجريين أن أوائلهم جاؤوا من آسيا في أزمان قديمة فهم ذوو أصول آسيوية اختلطوا بأهل البلاد الأصلاء من السلافيين وغيرهم فكونوا هذا الشعب المجري الحالي. ولكن المرء لا يلاحظ الآن كثرة كاثرة من الوجوه التي تبين فيها الملامح الآسيوية التركية القديمة، بل الجميع يبدون وكأنهم الأوروبيون الأصلاء الأنقياء.

اللقاء باتحاد الطلبة المسلمين:

كان موعد اللقاء الموسع بزعماء اتحاد الطلبة المسلمين في المجر هو التاسعة من هذه الليلة وقد حضر إلينا منهم في الفندق أعضاء اللجنة التنفيذية الحالية وأعضاء اللجنة التنفيذية القديمة التي قيل إن عليها ملاحظات في طريقة صرف بعض الأموال التي تخص اتحاد الطلبة من

حيث التصرف وليس من حيث عدم الأمانة، فالكل مجمعون على أنها لجنة أمينة، لكنهم ذكروا أنهـا لا تصرف الأشيـاء بناء على قـرار إجماعي من أعضائها. ولذلك أوصينا اللجنة التنفيذية الجديدة بأن لا تصرف شيئاً إلا بعد التوقيع عليه من اللجنة مجتمعة أو من أكثرهم، وقد سلمناهم المبالغ التي أعلنا تبرعنـا بها وهي عشـرة آلاف دولار لاتحاد الـطلبة كمـا سلمنا للدكتور حسني مصطفى قيمة كتب سبق أن ترجمها للمجرية وطبعها وهي تتعلق بالدعوة للإسلام، ولـم يستطع إتحاد الطلبة أن يدفع قيمتها له لعجزه المالي عن ذلك فتحملناها عنه. وكذلك دفعنا لهم مساعدات مالية لبعض الأخوات المجريات حديثات العهد بالأسلام لأنهن أضرن من أسرهن ومن مجتمعهن بسبب إســلامهن فهن إذاً من المؤلفـة قلوبهم. وقــد استمــر الإجتماع بهم حتى الحادية عشرة ليلاً.

يوم السبت ١٤١٢/١/٢ هـ:

أصبحنا على حر شديد بحيث يصعب البقاء في الغرفة وجلسنا فترة في مقهاة الفندق خارجه فصار العرق يتصبب من أجسامنا مما لم نكن نظن أنه يكون في هذه البلاد الشمالية الباردة غير أن لرطوبة الجو أثراً في الشعور بالحر والعرق.

مغادرة المجر:

خرجنا إلى مطار بودابست فتكررت رؤية الشوارع المزدحمة بالسيارات الخاصة واستمر ذلك حتى الوصول للمطار لأنه متصل بالمدينة رغم بعده عن مركزها.

وقبيل المغادرة تجولنا في مطارهم الذي رأيناه كبيراً بعد مطاري برلين الشرقية وبراغ الصغيرين وإن كان صغيراً إذا قارناه بمطارات البلدان العربية الصغيرة الحجم أو القليلة السكان كالبحرين ودبي فهو حقير بالنسبة إليهما لا بالنسبة لساحاته وأبنيته فحسب وإنما أيضاً بالنسبة لأحجام الطائرات التي تطير منه وأعدادها وأعداد المسافرين الواصلين والمغادرين ـ وكذلك بالنسبة إلى الآلات والتجهيزات الفنية الموجودة فيه.

في رومانيا

تقع رومانيا في شمال شبه جزيرة البلقان وتبلغ مساحتها ٥٠٠ ٢٣٧ كم٢ وتشتهر بزراعة الحبوب من القمح والشعير والذرة والأرز وكذلك البنجر وتنتج النفط والغاز الطبيعي إلى جانب النحاس والرصاص والزنك وبها بعض الصناعات الحديثة مثل الحديد والبتروكيماوية والأنسجة، وقد بلغ دخل الفرد القومي ٢٠٢٠ دولار في السنة ويبلغ صرف الدولار الأمريكي ٣٥ لي في البنك الوطني وفي السوق السوداء ٣٠٠ لي.

يوم الثلاثاء ١٤١٢/١/٥ هـ:

عند الحدود الرومانية:

كنا وصلنا الحدود البلغارية مع رومانيا بعد جولة في بلغاريا وودعنا مفتي بلغاريا الدكتور (نديم غنجيف) الذي كان قد رافقنا في جولتنا البرية في بلغاريا حتى ودعنا عند مركز الحدود البلغارية مع رومانيا، وبقي معنا الشيخ (شناس سليمان شاكر) مفتي محافظة (دوبرجة) البلغارية فحملنا بسيارته إلى رومانيا وبقي معنا حتى عدنا معه إلى بلغاريا.

وقد ذكرت قصة سفرنا في بلغاريا في كتاب مستقل عنوان: (كنت في بلغاريا) وهو كتاب مطبوع.

لم تكن المسافة التي تفصل بين مركزي الحدود البلغاري والروماني تزيد على مائتي متر، وعندما وصلنا قرب مركز الحدود الروماني خاضت سيارتنا ماء على الطريق لا يمكن تفاديه ذكروا أنهم وضعوه هكذا من باب المبالغة في الإطلاع على أسفل السيارة لئلا يكون فيه شيء قد أخفي فيها.

ووجدنا أمامنا حافلة كبيرة فيها سياح يحتاج إنجاز أوراقهم إلى وقت طويل، ونحن نحتاج للسرعة لكوننا قضينا اليوم كله في تجول مثلما فعلنا أمس في بلغاريا، ولدينا غداً برنامج عمل طويل في رومانيا.

غير أننا وجدنا صديقنا الشيخ (نجاة عثمان) مفتي رومانيا في انتظارنا

في المركز فأخذ جوازاتنا وهي لثلاثة أنا وجوازي (دبلوماسي) ورفيقي في الرحلة الأستاذ حاتم حسن قاضي وجوازه سعودي خاص والأستاذ رحمة الله بن عناية الله وجوازه سعودي معتاد، وكذلك الشيخ شناس سليمان شاكر جوازه بلغاري معتاد.

ولكن الشيخ المفتى (نجاة عثمان) لديه أوراق تثبت أهميته الشخصية أبرزها لموظفي المركز فيما يقول وإلا فإننا جلسنا نستريح على مقاعد في المركز حتى أنجز أوراق دخولنا إلى رومانيا بسرعة، ولم نعمل نحن أكثر من التوقيع على بطاقة الدخول المعتادة التي تتضمن الإسم والجنسية ورقم الجواز إلخ.

في رومانيا:

ركبت مع المفتي الشيخ نجاة عثمان في سيارته، ومعنا الأستاذ حاتم قاضي وبقي رفيقي الأستاذ رحمة الله بن عناية الله مع مفتي محافظة دوبرجة في سيارته.

ولم يكن المفتي الشيخ نجاة عثمان يعرف من العربية ما يكفي الإنطلاق في الكلام وإن كان يفهم الحديث بالعربية، وكان الظلام الدامس هو المسيطر على الطريق لذلك وصلنا مدينة كنستانتا دون كثير حديث وتبلغ المسافة ٨٥ كيلو متراً.

في كنستانتا.

هذه هي المرة الثانية التي أزور فيها مدينة كنستانتا، التي هي قاعدة منطقة دوبرجة الرومانية التي يكثر فيها المسلمون بل كانت منطقة إسلامية خالصة تقريباً إبان عهد الحكم التركي في رومانيا وبعده إلى سنوات طويلة، ثم كثرت هجرة الرومانيين المسيحيين إليها حتى غلبوا أهلها على أغلبيتها المسلمة، فصارت الحكومة تعطي الوافدين من أراضي هذه المنطقة المسلمة لأنها أراضٍ خصبة واسعة قليلة السكان.

ولا تزال مدينة (كونستانتا) أكثر المدن الرومانية مسلمين وما حولها من

المناطق فيها مسلمون كثر ولذلك صارت دار الفتوى فيها فمفتي رومانيا مقره كونستانتا وليس العاصمة (بوخارست).

قصدنا بيت الشيخ المفتي (نجاة عثمان) الذي يقع في شقة من بناية سكنية مؤلفة من عدة طوابق، وقد بلغت الساعة الحادية عشرة والربع ليلاً عندما دخلنا بيت المفتي فوجدناهم قد أعدوا العشاء من الحساء اللذيذ الذي فيه قطع من اللحم ثم الخبز والجبن والخضار إلى جانب لحم من لحم الضأن الممتاز الذي تشتهر به رومانيا.

ولم نطل المكث في بيت أخينا المفتي رغم لطفه الظاهر وأدبه الجم الذي كان يلح علينا بالبقاء أكثر في بيته فغادرناه في الثانية عشرة والنصف إلى فندق كانوا حجزوا فيه لأنه قريب من دار الفتوى وإن لم يكن من فنادق الدرجة الأولى.

يوم الأربعاء ١٤١٢/١/٦ هـ:

صباح شيوعي:

ذهبت الشيوعية وذهب أهلها، وعصفت بها الأيام كما كانت هي قد عصفت بحريات الشعوب التي استولت عليها من قبل، جزاء وفاقا، **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**.

ومن ذلك ذهاب الحاكم بأمره المطلق الإرادة، بل إن أنصاره كانوا يتصرفون في كل مقدرات الشعب الروماني بإرادة مطلقة داخل إرادة الحاكم الفرد (تشاوشيسكو).

ولكن آثار الشيوعية لا تزال باقية خراباً في العامر، ودماراً في الذمم ونقصاً من الأموال والأنفس والثمرات.

وهذا الفندق الذي نحل فيه الآن مثال صادق على ما كانت عليه الشيوعية عند إقبالها وإدبارها، فقد كان ولا يزال فندقاً حكومياً بنته الحكومة الشيوعية ذا مقدمة واسعة فخمة ومداخل رائعة كمداخل الفنادق الكبيرة الغالية في البلدان الحرة، ولكنه الآن لم يبقَ منه إلا هيكله العظمي الذي أبى جلده المهترىء أن يستره فقد فسدت أبوابه ونوافذه وعصت خزائنه الخشبية على الفتح والإغلاق وأبت الصنابير في حماماته أن تصمت عن الجريان، وأخلَقَّ أثاثه حتى اجتمع فيه قدم العهد، وعدم نظافة الجلد.

وصار السكن فيه من باب الصبر على المكاره، وإن كان صبراً لا

يحتسب صاحبه عليه أجراً، لأنه قد دفع أجرته كما يدفعها لفندق سليم معافى من الآفات. ولكنها الضرورات التي تبيح المحظورات.

وكانت غرفتي خلفية فأطلت هذا الصباح على منظر رديء لأبنية تشبه جلد من أصابه الجدري، لذلك كففت الطرف عنها وانصرفت نازلاً منها إلى مطعم الفندق وهو واسع المساحة رحب الساحة قد أكثروا فيه من الموائد التي تسعى بينهن الخرائد، ولكنه المظهر دون المخبر فأول ما يقابلك منه أن كل من يلاقيك فيه هو مكفهر الوجه، مقطب الأسارير حتى كأنه قد مص ليموناً من البنزهير.

فالإبتسامة التي تصاحب تحية الصباح أو تسبقها أو تلحقها في الفنادق المعتادة قد ماتت من الشفاه، وعدمت من الأفواه حتى صارت أندر من العملة الصعبة النادرة في هذه البلاد.

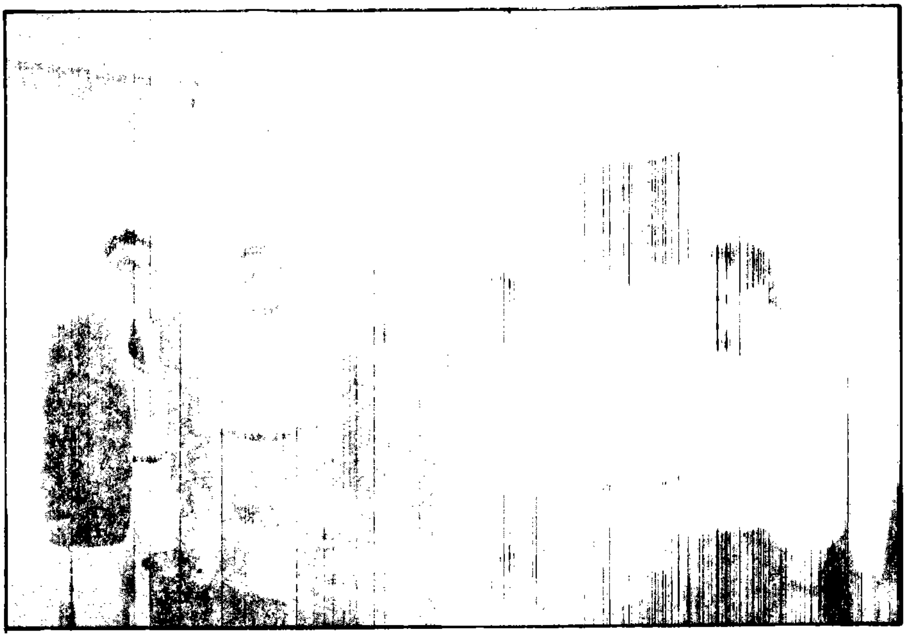
وقدمت عاملات المطعم طعاماً يصدق عليه المثل العربي القديم (أحشفا وسوء كيلة) فهو نزر قليل ومن نوع غير جيد لا يزيد على قطع من الخبز الخشن وقطعة من الجبن الذي يكثر في هذه البلاد ولم يحضروا زبداً ولا مربى ثم القهوة أو الشاي، وهو داخل في أجرة الفندق يكونون قد أخذوا قيمته بعين الإعتبار ووضعوها في قائمة الأسعار.

في دار الإفتاء:

حضر المفتي الشيخ (نجاة عثمان) مفتي رومانيا وصحبنا إلى دار الفتوى الرومانية، سيراً على الأقدام لقرب الفندق منها.

دخلنا لدار الفتوى التي هي واقعة في مبنى خاص بها ويقع مكتب المفتي في الطابق الثاني الذي يصعد إليه من درج سهل.

وقد حضر الإجتماع عدد من الإخوة العاملين في دار الفتوى وبعض أئمة المساجد فاستهل المفتي كلامه بالترحيب الحار ثم ثناه وثلثه بالشكر على استضافته واستضافة الحجاج الرومانيين هذا العام في موسم الحج من قبل المملكة العربية السعودية، وذلك لكونهم مثل المسلمين في البلدان



وفد رابطة العالم الإسلامي في دار الفتوى في مدينة كونستانتا في رومانيا.

الشيوعية لا يستطيعون أن يحجوا بدون ذلك لأنهم لا يستطيعون الحصول على العملات الصعبة اللازمة لنفقات الحج، وتكلم عن مساعدة المملكة العربية السعودية للمسلمين في العالم بصفة عامة وشكر رابطة العالم الإسلامي بصفة خاصة وقال: إنها الوحيدة التي ساعدتنا وإن المساعدة التي كنت أنت حملتها شخصياً إلينا وسلمتها للمفتي السابق بحضورنا وحضور المسئولين السابقين في الحكومة الشيوعية هي المساعدة الوحيدة التي تلقيناها من الخارج، وإن كانت الحكومة الشيوعية قد تسلمتها منا عملة صعبة وأعطتنا قيمتها بالعملة الرومانية المحلية وهي أقل من قيمتها في السوق الحرة ثلاث مرات.

ثم قال: لقد تحدثت عن الناحية الإقتصادية لأننا مثل بقية مواطنينا نمر بفترة إقتصادية حرجة مردها إلى أن بلادنا تركت الشيوعية ولم تستطع

استبدالها حتى الآن بشيء مفيد لنا، لأن ذلك يحتاج إلى فترة اقتصادية انتقالية، ولذلك صرنا في حاجة ماسة للمساعدة المالية لأن الأسعار ترتفع الآن بصفة جنونية. والدخول ثابتة، وقد بلغت الزيادة في الأسعار عشرة أضعاف، بل إن العملة المحلية التي نتقاضى بها رواتبنا تنخفض أيضاً حتى وصل الأمر بنا على سبيل المثال أن إمام المسجد الذي كان راتبه الشهري يعادل (٨٠) دولاراً أمريكياً في الشهر قد أصبح راتبه لا يزيد على ١٣ دولاراً بالصرف الرسمي أو ٥ دولارات فقط بالصرف الحر. بحيث صار راتب الإمام لا يكفي للضروري من العيش، ولذلك أصبحنا نتطلع إلى مساعدة إخواننا المسلمين في الخارج على ذلك.

وثقوا أن حاجتنا ستزول بإذن الله بعد الفترة الإقتصادية الإنتقالية التي نقدرها بخمس سنوات أو نحوها حين يعود اقتصاد بلادنا إلى الإزدهار لأن بلادنا تملك موارد طبيعية جيدة في الزراعة والمياه إلى جانب الصناعة المتطورة.

فرددت عليه بالشكر على الترحيب وعلى شكره على الإستضافة في الحج وقلت له: إن ذلك واجب تقوم به بلادنا نحوكم، وقلت له: إن ما قدمناه لكم هو شيء يسير من حقكم علينا وأنا أتكلم عن رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد، وإننا جئنا إلى هنا لتجديد العهد بكم وبإخوتنا المسلمين في هذه البلاد، وإننا سوف نتعاون معكم بكل ما نستطيعه، أما المساعدة المالية التي ذكرتموها فإننا نعتبرها تعاوناً وليس مساعدة لأننا نرى أنه يجب على المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى كما أمرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾.

وبخصوص قصر المدة التي ذكرتموها وكان أشار إلى أن يومين هما مدة قليلة لبقائنا في رومانيا فإننا نوافقكم على أنها قصيرة ولكن المهم عندنا هو لقاؤكم ولقاء اخوتنا من الأئمة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية،

ونرجو أن يتبع ذلك لقاءات أخرى هنا في رومانيا وهناك في مقر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

ثم تبع الكلمات الرسمية حديث مهم عن التعاون ما بين رابطة العالم الإسلامي ودار الإفتاء الرومانية بالنيابة عن المسلمين في هذه البلاد.

الاجتماع بأئمة المساجد:

انتقلنا من مكتب المفتي إلى غرفة أخرى كبيرة في دار الإفتاء فوجدنا أئمة المساجد قد اجتمعوا فيها ينتظرون قدومنا إليهم.

فالقيت فيهم كلمة أخبرتهم فيها بالهدف من زيارتنا لرومانيا، وشرحت لهم مهمات رابطة العالم الإسلامي وأهدافها ووسائلها لتحقيق تلك الأهداف.



بعض أئمة المساجد في رومانيا ـ (تصوير المؤلف)



صورة مفتي رومانيا مع النموذج لمسجد يتمنى أن يقام في رومانيا

ثم تكلموا عن مشكلتهم وكيف أن رواتبهم التي تدفعها الحكومة لهم لا تغني شيئاً حتى قال المفتي: إن هناك مساجد في رومانيا معطلة لأن الأئمة الذين كانوا يعملون فيها تركوها إذْ لم يستطيعوا أن يوفروا فيها الضروري من العيش لأسرهم واشتغلوا بأعمال أخرى، ونحن لا نلومهم لأننا نعلم صحة ذلك، وأخبرنا أن الأئمة الذين يعملون الآن في المساجد بصفة منتظمة هم (٣٥) إماماً.

فقررنا أن نعطيهم فوراً رواتب بمعدل (٣٠) دولاراً أمريكياً في الشهر وبالنقد الأجنبي الأمريكي الذي يستطيعون أن يبيعوه بمبالغ جيدة في السوق الحرة وذلك اعتباراً من الشهر الحالي شهر يوليو ولمدة سنة كاملة. على أن يتسلموا راتب كل شهر من دار الإفتاء بالمعدل المذكور.

وقد أكبروا ذلك وأعظموه فلم يكونوا يظنون أننا سندفع لهم مساعدات

فورية مضمونة لمدة سنة، وحمدوا الله تعالى وقال أحد الإخوة المرافقين: إنه لاحظ أن بعضهم اغرورقت عيناه بالدموع، وذلك لأنهم كانوا يعانون بالفعل من ضيق في العيش يمس أسرهم وأطفالهم، وبلادهم في ضائقة اقتصادية بحيث تكاد تعدم فيها فرص العمل لمثلهم.

المسلمون في كونستانتا:

جرى حديث مستفيض عن هذا الموضوع بحضور أناس عاملين في الحقل الإسلامي وهم المفتي وأئمة المساجد فكانت خلاصة حديثهم ما ذكرته سابقاً من كون مدينة كونستانتا فيها أكبر مجموعة مسلمة تضمها مدينة رومانية وأن عدد المساجد فيها هي أربعة، والخامس يجري العمل فيه لافتتاحه في هذين اليومين.

وذكروا أن عدد المسلمين في رومانيا كلها يبلغ (٨٠) ألف نسمة وأن هذا أمر تقديري وإلا فإنهم لم يجروا إحصاءات محددة في هذا الموضوع وإنهم يودون ذلك لولا أن طاقتهم المالية تعجز عنه.

مسجد هنيكار:

بعد هذه الجلسة الطيبة مع هؤلاء الإخوة الصابرين على دينهم في مقر دار الفتوى في رومانيا انتقلنا لمشاهدة جامع عريق عزيز في موقع مجاور لدار الفتوى وهو (مسجد هنيكار) هكذا اسمه، وأما تاريخ انشائه فقد وجدناه مكتوباً عليه وهو عام ١١٦٨ هـ، وواضح أن ذلك التاريخ كان إبان حكم المسلمين الأتراك لهذه البلاد.

وهذا المسجد قد أصابه الخراب، وترك مهملاً قبل سقوط الشيوعية، إلى أن بدأ الإخوة بعمارته قبل أشهر ولكنهم لم يستطيعوا الإستمرار في ذلك لقصور النفقة.

ووجدنا فرقة من العمال المهرة تقوم على ترميمه يرأسهم المهندس المسلم (بكر بيدار) الذي يشرف على العمل. وهو عمل صعب وليس

مجرد عمارة لأن المطلوب هو إعادته كما كان عليه من قبل حتى النقوش العربية القديمة فيه.

وقد أخبرناهم أننا سنخصص لهم مبلغاً من المال بالعملة الصعبة للإسهام في نفقات هذا المسجد.

جولة في كونستانتا:

ذهبنا في جولة في سيارتين مع المرافقين لتجديد العهد بمدينة كونستانتا التي مضت على زيارتي الوحيدة لها من قبل أكثر من ست سنوات، ويبلغ عدد سكانها أربعمائة ألف نسمة.

ولم أرها تغير فيها شيء إلا ما كان تغيراً إلى الأسوء، فقد ساءت حالة الشوارع والأرصفة فيها، وكذلك أقفرت كثير من متاجرها من السلع. وحتى الأماكن المزروعة بالأزهار فيها كالساحات والميادين قد قل زهرها وذبل عودها. وحتى القمائم وجدناها مهملة تتراكم في عدة أماكن منها، مع أن إبعادها لا يتطلب تقنية ولا حتى عملات أجنبية صعبة.

وكانت أولى الوقفات في ميدان مهم من القسم القديم فيها اسمه (بياسا أفيدو)، وبياسا، تعني ميدان بالرومانية هكذا عرفتها في البرازيل التي تتكلم اللغة البرتغالية التي هي شقيقة لغة رومانيا مثلها في ذلك مثل اللغتين الإسبانية والإيطالية فكلها تنتمي إلى أم واحدة هي اللغة اللاتينية.

ويقع الميدان في قسم قديم مرتفع من مدينة كونستانتا يطل على البحر وتطل عليه منارة رشيقة جميلة.

مسجد المحمودية:

ونسبته إلى السلطان محمود أحد سلاطين تركيا حيث كان قد بني في عهده فنسب إليه، ثم صار اسمه عند الناس (مسجد الملك) وذلك أن الملك كارول الأول ملك رومانيا جدد بناءه وأنفق عليه نفقة كبيرة مجاملة لمواطنيه المسلمين وهو على حالته التي بناه عليها هذا الملك.

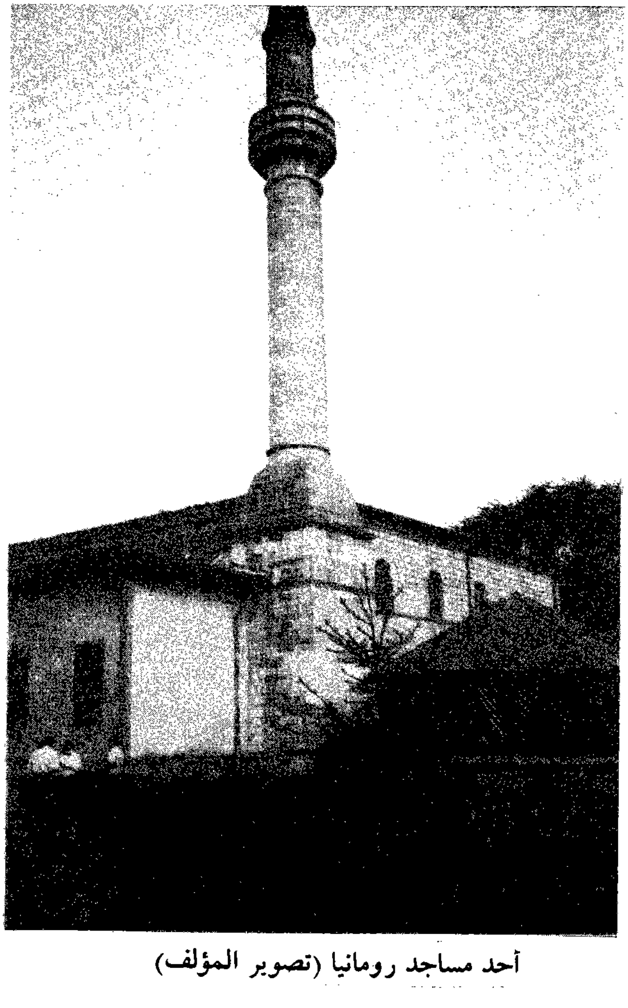


عضاء وفد الرابطة مع بعض المسلمين في صورة تذكارية في محراب جامع الجودية كونستانتا (رومانيا)

وجدنا عند بابه طائفة من السياح الغربيين ذوي المظهر الأوروبي من رجال ونساء جاءوا لرؤية هذا المسجد الجميل، فمنعوهم من الدخول حتى نفرغ من زيارته. وقد أخبرونا بعد ذلك أن إدارة السياحة وضعت زيارته ضمن برنامج السياح على اعتبار انه أحد المعالم السياحية لمدينة كونستانتا. وأنهم يتقاضون رسوماً من السياح تجمع للنفقات المتكررة التي يحتاج إليها المسجد كالكهرباء والماء وصيانة الفراش والأثاث فيه.

وقد تم بناؤه الحالي الذي أمر به الملك كارول الأول الذي لم يكن مسلماً في عام ١٩١٠ م كما أنه بنى منارته الرشيقة هذه ولم تكن فيه منارة من قبل كما أخبرونا.

وهو الآن تحت إشراف دار الإفتاء مثل غيره من المساجد التي لا تزال موجودة ولم تخرج من أيدي المسلمين ولكنها تحتاج إلى عمارة تقصر



أحد مساجد رومانيا (تصوير المؤلف)

دونها إمكانات المسلمين للحالة الإقتصادية المتردية التي تتخبط فيها البلاد، ولم يسلم منها أحد من جماعات المواطنين، ومما تجدر ملاحظته أن حكومة رومانيا الشيوعية لم تصادر المساجد وإنما صادرت أوقاف المسلمين

الكثيرة التي كانوا ينفقون منها على المساجد وغيرها من المشروعات الإسلامية.

أعجبنا بناء المسجد الذي كان حقاً بناءاً فاخراً أنيقاً ذا منبر فخم من الخشب المنقوش على طريقة الحفر بالخشب وفقاً للفن الإسلامي في مثل هذه المواطن. وعليه كتابات عربية جميلة مثل الشهادتين.

وله محراب مرتفع جداً، لأن المسجد عالي السقف تظلله قبة شامخة ترى كذلك من الداخل والخارج.

وهو مفروش بالسجاد الفاخر، وذكروا أنه يحتاج إلى ترميم في منارته. وما عدا ذلك كله على ما يرام فأعطيناهم من رابطة العالم الإسلامي مبلغاً من النقود إسهاماً في عمارة المئذنة.

إلى منغاليا:

منغاليا بلدة مهمة هي الثانية في هذه المنطقة التي كانت إسلامية بأغلبية سكانها، ولكن غلبهم الرومانيون غير المسلمين الآن على التكاثر فيها لأن الحكومة صارت تسهل هجرتهم إليها وهي من الأماكن المرغوب فيها لخصوبتها، وسعة أراضيها وقلة سكانها.

خرجنا نريد (منغاليا) من شارع في ضاحية من ضواحي كونستانتا فصدنا عن الذهاب معه مجرى مياه المجاري الطافحة التي عجزنا عن تجاوزها بالسيارة وكنت راكباً مع المفتي الشيخ (نجاة عثمان) بسيارته التي يقودها بنفسه فاضطررنا للعودة وسلوك شارع آخر غيره بعد أن أنفقنا شيئاً من الوقت في ذلك.

ثم خرجنا من كونستانتا فوقعنا في ريف أخضر لا يكاد يختلف عن ريف بلغاريا الذي تجولنا فيه منذ ثلاثة أيام وحتى البارحة.

والطريق إزفلتي جيد تحيط به أشجار نضرة إلا أنه ضيق واحد للسيارات الذاهبة والآيبة يفصل بينهما خط أبيض.

وخضرة الريف هي خضرة حقول واسعة إذْ كان معموراً بالزراعة.

ثم تجاوزنا جسراً يمر فوق قناة مائية واسعة أسموها (قناة تشاوشيكو) على اسم رئيس رومانيا السابق الذي أطاحوا به وصاروا يلعنونه الآن بعد أن كانوا يكادون يقدسونه إبان حكمه.

وتصل هذه القناة التي شقت في عهده وبتوجيهه ما بين البحر الأسود ونهر الدون وهو نهر كبير كأنه نهر الدانوب لسعته وغزارة مياهه. فصارت هذه القناة صالحة للملاحة وأصبح بإمكان السفن أن تبحر الآن من داخل رومانيا حتى البحر الأسود.

بلدة العزيزية:

هكذا اسمها مثل أسماء عديد من القرى والأماكن في هذه المنطقة هو اسم إسلامي مأخوذ من أسماء زعماء مسلمين إبان كان الحكم للمسلمين الأتراك.

ويبلغ سكان هذه البلدة التي هي بمثابة قرية كبيرة سبعمائة أسرة من المسيحيين و (٣٣٠) أسرة من المسلمين.

هكذا قال المفتي تقريباً في نسبة المسلمين بين سكانها.

ولم نقف بها وإنما واصلنا سيرنا حتى وصلنا:

بلدة أيفوريا:

ويسكنها (٦٠) أسرة مسلمة يؤلف أفرادها حوالي ألفين وخمسمائة نسمة من مجموع سكان البلدة الذي هو (٣٨) ألف نسمة.

وليس فيها مسجد مع حاجتها لذلك بطبيعة الحال ولكن لم يكن فيها مسجد قديم. ولم يستطع المسلمون تحت الحكم الشيوعي أن يشيدوا فيها مسجداً. لأن همهم كان في ذلك العهد أن يبقوا على المساجد القائمة وذلك بسبب سياسة الحكومة الشيوعية القائمة على الإلحاد والعداء للأديان ويقال لهذه البلدة (ايفوريا) الشمالية.



المؤلف وبعض الأخوة داخل جامع تحت الترميم في كونستانتا

وتؤلف مع ما حولها من شواطىء بحرية منطقة سياحية مهمة كانت في السنوات الماضية تعج بالسائحين والمصطافين الذين كانوا يأتون إليها من داخل رومانيا، ومن الدول الشيوعية المجاورة لأن تلك الدول الشيوعية كانت تتبادل السياح فيما بينها. لأنها لا تستطيع أن توفر العملة الصعبة التي يحتاجونها إذا ذهبوا للإصطياف في بلاد ذات اقتصاد حر تحتاج إلى عملات صعبة.

أما في هذا العام فإن عدد السياح قد قل، وذلك للظروف الإقتصادية الحرجة التي تشهدها البلاد التي كانت شيوعية في مرحلة التحول من الشيوعية إلى الرأسمالية أو إلى ما يسمى باقتصاد السوق الحر.

وايفوريا الجنوبية:

ويسمونها إيفوريا سد و (سد) تعني الجنوب.

وفي هذه الجنوبية مسجد جامع واحد و(١٥٠) أسرة مسلمة.

وواصلنا السير فمر الطريق بقرية اسمها (توزلا) يسكنها عدد من المسلمين مماثل لعدد المسلمين في بلدة ايفوريا الجنوبية وهو (١٥٠) أسرة ولكن ليس فيها مسجد لهم.

ثم استمر السير في الطريق الذي كان متجهاً جهة الجنوب الغربي، وقد تعانقت الأشجار التي على جانبيه والتفت حوله من كل جهة.

وخلف أشجار الطريق الملتفة حقول نضرة شاملة. مما يجعل المرء يعجب من شكواهم من الفقر ورقة الحال مع خصوبة أراضيهم وكثرة الأغذية والحبوب التي تنتجها، إضافة إلى النشاط الصناعي الذي تشتهر به.

ولا شك أن سبب ما هم فيه من فقر ومن ضائقة اقتصادية هو السياسة الشيوعية التي أفقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء. ولم تتعافَ البلاد بعدها رغم كونها قد هجرتها، ولكن الشيوعية مثل غيرها من أمراض البلدان كأمراض الإنسان إذا حلت بالأبدان أنهكتها حتى لا تستطيع الأدوية وحدها أن تعيدها إلى حالتها السابقة إلا إذا توفرت معها الأغذية النافعة والوقت اللازم لذلك.

والأدوية للبلدان المفلسة في اقتصادها هي الأموال الأجنبية الضخمة التي تضخ فيها على هيئة قروض أو مساعدات وفق خطة مقررة وبرنامج صحيح مرسوم.

قرية ٢٣ أغسطس:

وسميت بهذا الإسم على اسم واقعة حدثت بين الرومان وبين الألمان في آخر الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤ م وذلك قبيل انهزام المانيا، وقد انتصر فيها الرومانيون، ولا شك في أن زمن الحرب وحالة الألمان السيئة في ذلك التاريخ هي التي جعلت الرومانيين ينتصرون على الألمان، ومهدت لذلك، ولكن الرومانيين اعتبروا هذه الواقعة معركة حقيقية انتصروا فيها ولم يسألوا أنفسهم عما إذا كانوا لم ينتصروا على الألمان عندما كانوا في قوتهم المعتادة.

والذي يهمنا أكثر من أمر هذه القرية هو حالة الإخوة المسلمين الذين يعيشـون فيها فقـد بلغنا أن عـددهم يصـل إلى مـائـة أسـرة وأن لهم مسجـداً جامعاً مفتوحاً.

المنتجعات بأسماء الكواكب:

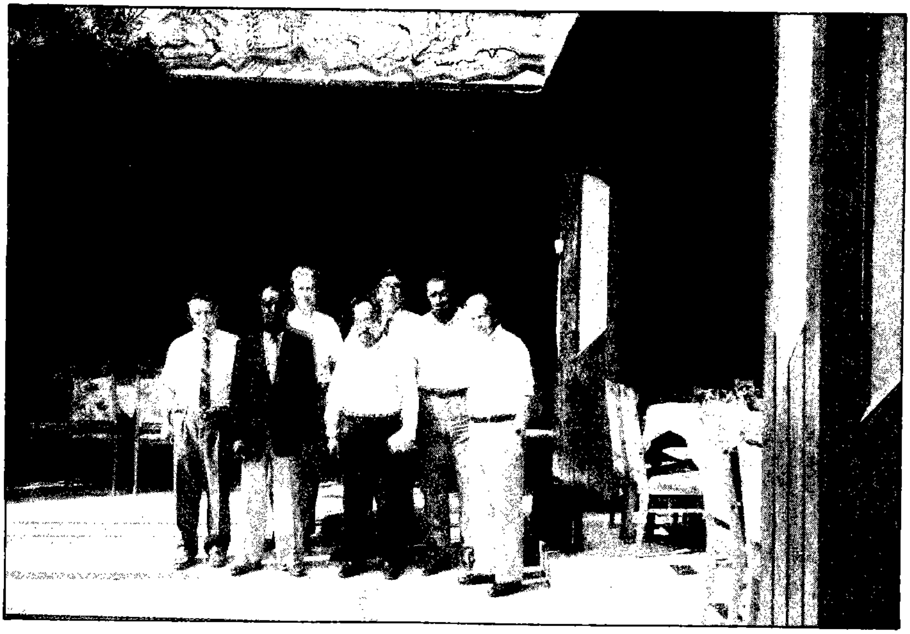
رأينا ونحن نسير لافتات تذكـر أسماء من أسمـاء الكواكب السيـارة المعـروفة مثـل فينوس، وهي الـزهرة بلغتنـا العـربيـة ونبتـون وأرانـوس أحـد الكواكب التي لم تعرف إلا من العصر الأخير حين تطورت المناظر المقربة في المراصد، وقد أخبرنا أن هذه أسماء منتجعات للمصطافين أسموها بهذه الأسماء الشاعرية بغية الإثارة والدعاية لها.

هذه منغاليا:

وصلنا مدينة منغاليا وهي مدينة متوسطة، ويسمونهـا كبيرة في هـذه المنطقة، التي لا تتميز بالمدن الكبيرة فمنغاليا أصغر بكثير من (كونستانتا) التي يبلغ سكـانهـا أربعمـائـة ألف نسمـة، وقـد ذكـروا أن عـدد سكـان (منغاليا) هو ثمانون ألفاً.

وقـد دخلنا إليهـا من مدخـل جميل لـولا ضيق طـريقـه الإزفلتيـة. فالتشجير الكثيف على جانبي الطريق والعناية بالأرصفة في وسط المـدينة يعـطي انطبـاعاً بـأن بلديتها تجتهـد في تجميلها أكثـر ممـا تفعـل بلديـة (كونستانتا) التي هي جميلة بطبيعتها ولا تزال كذلك بمواضع معينة محدودة منها. وكان أول ما استرعى انتباهنا عند دخول قلب المـدينة القـديم هو ميدانها الواسع الجيد.

ومن اللافت للنظر أن أكثر الصبيان والأطفال فيها نصف عـراة، إذ ليس عليهم إلا لباس خفيف كثيراً ما يقتصر على السروال القصير بسبب الحـر الذي شعرنا به مثلما شعرنا به في المجـر وبلغاريـا، حتى إنني تضايقت البارحة من الحـر في الغرفـة ولم يواتني النـوم إلا بعد مـدة من الإضطجـاع. لأن الفندق خالٍ من المراوح ومن التكييف. وذلك بسبب كون الحر ليس



صورة تذكارية في فندق منغاليا مع الأخوة المسلمين

مستوطناً عندهم وإنما يأتي إليهم في مدة قصيرة من الصيف لا يرون تحت نظام الحكم الشيوعي أنه مما لا يمكن الصبر عليه، وقد صبروا على أشد منه من مكروهات ذلك النظام.

ومع ذلك قال لنا أهل هذه المنطقة: إن الحر يأتي إلى بلادنا ولكن ليس بهذه الشدة فهو في هذه الأيام غير معتاد، وذكروا أن الجو يتغير عندهم ابتداء من النصف الثاني من شهر أغسطس، فتبدأ البرودة في الجو.

وهذا شبيه بما نعرفه في شمال بلادنا من أن تغير الجو من الحر الشديد إلى البرودة الخفيفة يبدأ بطلوع سهيل الذي يكون في اليوم الرابع والعشرين من أغسطس (آب).

جامع منغاليا:

اتجهنا للجامع رأساً ولم نتلبث في مكان آخر من المدينة فهو يستحق

الزيارة لا سيما أنه الجامع الثاني من حيث المساحة في رومانيا كلها، والمسجد الأول هو جامع بابادار.

وجدنا المسجد في حديقة واسعة تظلها الأشجار الوارفة وتحيط به من جميع جهاته، وترتفع شواهد القبور التركية، المكتوب عليها أسماء المقبورين فيها باللغة التركية في أماكن عديدة من هذه الحديقة التي تبين أنها قد اتخذت مقبرة بعد بناء المسجد ويدفن فيها عادة ذوو المقامات، رأينا على بعض الشواهد من قبورها صوراً للعمائم التي كان الموتى يلبسونها في حياتهم. وكان شكل العمامة في وقتهم يدل على مكانة الرجل لدى السلطة وفي المجتمع. ويكون ذلك منحوتاً من الحجارة فوق شاهد القبر الذي هو منحوت من الحجارة.

وجميع الكتابات على تلك الشواهد هي بالحروف العربية ولكن باللغة التركية ما عدا الأدعية ونحوها فإنها تكون باللغة العربية، وكذلك التواريخ هي بالأرقام العربية.

وجدنا باستقبالنا في المسجد طائفة من الإخوة المسلمين من أهل منغاليا من المسئولين عن شئون المسجد بوجه خاص.

وفي مدخل المسجد الشهادتان باللغة العربية وتحتهما جملة باللغة التركية ترجمتها: الذي يقوله الله هو الذي يصير. بني عام (١٥٩٠) م.

وهذا يدلك على قدم بناء هذا المسجد ومعروف أن التي بنته اسمها (أسمهان) بنت السلطان سليم الثاني زوجة إسحاق توخلو محمد قاسم.

وذلك عندما زارت هذه المنطقة التي هي من الممتلكات العثمانية في ذلك الوقت ولذلك يسميه بعضهم (مسجد أسمهان خان).

ويتقدم المصلى في المسجد داخل تلك الحديقة الواسعة رواق يظلل مدخله ربما كان بني بعد البناء الأول، لأنه يظهر عليه ذلك من مخالفته لطراز البناء الأصلي للجامع.

هذا وكان وقت صلاة الظهر قد حان فأذن مؤذن منهم بصوت جيد،



شارع في رومانيا ـ كونستانتا

وأداءٍ متقن ودون مكبر للصوت، ولكنهم جعلوا يصلون على النبي ﷺ بعد الأذان بـأصوات جمـاعية منغمـة ثم قامـوا لصلاة السنـة فأدوهـا أكثر من ركعتين، أما أنا فقد اقتصرت على ركعتين وهما السنة الراتبة إلا أنني مسافر نويت بها أن تكون نفلاً مطلقاً.

وبعد التنفل بدأوا بدعاءٍ طويل تخللته قراءة سورة الإخـلاص **﴿قل هو الله أحد﴾** إلخ، وختموه بالآية الكـريمة التي يختمـون بها الـدعاء في العادة: **﴿سبحان ربـك رب العزة عمـا يصفون وسـلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾**.

وعندها أقيمت الصلاة والإقامة عندهم كالآذان مع زيادة (قد قامت الصلاة) مرتين.

وبعد الصلاة التي كانت خفيفة سريعة بدأوا التسبيح والتحميد جهراً

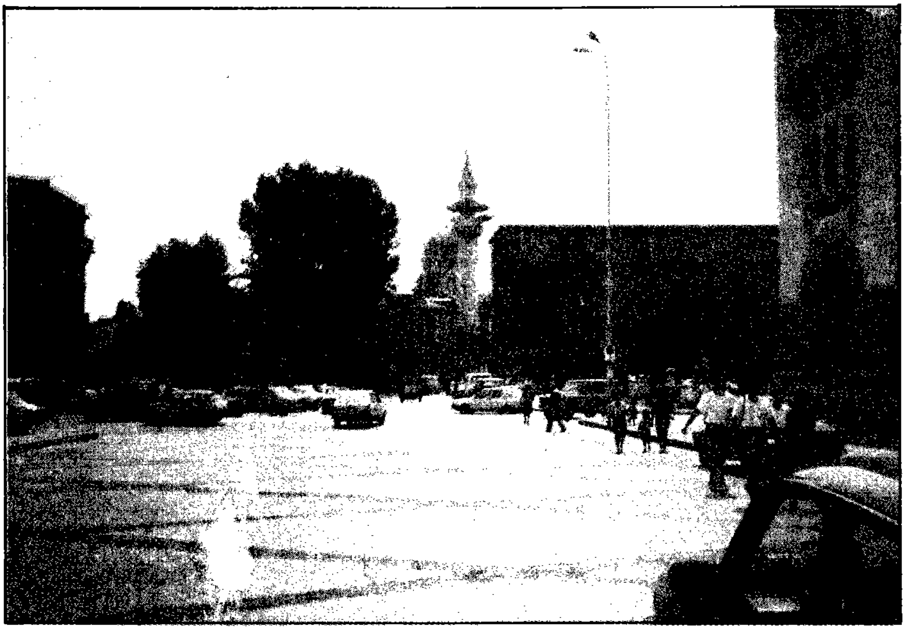
بصفة منغمة جماعية فقالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام، وبعده دعاء جماعي فتلاوة سورة الفاتحة كاملة.

ثم أعقبوا ذلك بدعاءٍ آخر يتلوه الإمام، ولا يزال وجهه إلى القبلة لم ينصرف ليواجه المصلين.

ثم نهض الإمام ونهضوا معه جميعاً ليصلوا صلاة النافلة أربع ركعات في تسليمتين، عادوا بعدها للتسبيح والتحميد الجماعي المنغم. سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، وبعده سكون ثم دعاء أعقبته صلاة على النبي ﷺ.

هذا ونحن جلوس ومعنا جماعة قدموا من الإمارات العربية وهم سياح إلا أنهم من المتدينين الذين يسيرون على نهج جماعة التبليغ الهندية، فينزلون في المساجد، ويتقشفون في المأكل والمشرب، وقد شكوا إلينا أن المسئولين عن المسجد هنا لا يمكنونهم من السكن فيه وطلبوا أن نشفع لدى المفتي للسماح لهم بذلك ففعلنا وإن كانوا طلبوا أن نبحث معهم في أشياء لاحظوها على المسلمين هنا، فذكرنا بعضها بعد ذلك تلميحاً، وقلنا لهم عند الإنفراد بهم إنه يمكنهم أن ينصحوهم بما يرونه وذلك بحكمة وموعظة حسنة، مع تقدير ظروفهم التي تتعلق بنقص المعرفة الإسلامية عندهم، وحجب الاتصال بينهم وبين إخوتهم المسلمين في خارج بلادهم عقوداً من السنين.

وقد نهض المفتي فقدمني للمصلين ورفع من قدري عندهم، وقال يوجه كلامه لي إنهم يطلبون منكم أن تلقوا فيهم كلمة نصح وتوجيه، فألقيت فيهم كلمة مطولة. تضمنت بيان الغرض من زيارتنا لهذه البلاد الرومانية ولشرق أوروبا بوجه عام، وأن هدف ذلك هو الإتصال بالإخوة المسلمين، وتجديد الصلات بهم، وتوثيق العلاقة ما بين مؤسساتهم وبين رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي قدمنا منها، وأخبرناهم أنها



الميدان الذي عليه جامع الجودية وكونستانتا

رابطة إسلامية شعبية، وأن هدفنا التعاون مع الإخوة المسلمين في جميع أنحاء العالم على البر والتقوى.

كما ذكرنا لهم أن من أهداف زيارتنا هذه تلمس حاجات الإخوة المسلمين المتعلقة بأمور دينهم والعمل على ما يمكن تلبيته من تلك الإحتياجات.

وبينت لهم أننا نقوم بذلك من دون أن نعتبره مساعدة نستحق عليها الشكر وإنما ذلك تعاون ما بيننا وبينهم يحتمه واجب الأخوة الإسلامية.

وقد ركزت على موضوع ما يجب عليهم أن يعملوه للعودة إلى التعليم الإسلامي، وتنشئة أولادهم على الدين الإسلامي الحنيف، بعد أن انجلت عنهم غياهب الشيوعية الملحدة. وقلت لهم: إنه يمكن لرابطة العالم الإسلامي أن تتعاون معكم فيما يحقق ذلك.



شارع في كونستانتا

بل طلبت منهم أن يكتبوا إلى الرابطة في كل شيء يتعلق بأمور دينهم ويرون أن الرابطة يمكن أن تساعد فيه، وأن يكرروا الكتابة للرابطة حتى تردهم الإجابة منها على ما كتبوه سواء بالسلب أو الإيجاب، وأن لا يستبطئوا ذلك لأن مسئوليات الرابطة واسعة وهي تشمل العالم كله، إذْ ميدان عملها واسع يتعلق بكل مكان فيه مسلمون والمسلمون الآن موجودون ـ ولله الحمد ـ في كل مكان من العالم، إلا أن ذلك قد يؤخر الإجابة أو الإستجابة للطلبات التي يتقدم بها المسلمون في العالم وذلك أمر طبيعي.

وبعد أن أنهيت كلمتي نهض إمام الجامع فأثنى على ما جاء في كلمتي وذكر مشروعات عاجلة يريدون المساعدة عليها وكلها متعلقة بهذا الجامع وهي:

أ ـ تدفئة الجامع لأن البرد في الشتاء لا يطاق والجامع غير مدفأ.

ب - بناء فصل دراسي للطلاب يكون مدفئاً أيضاً، لأنـه لا يوجـد مكان لذلك في الجامع.

ج - إصلاح مكان لصلاة النساء في جانب من المسجد.

د - بناء دورة مياه كافية منفصلة عن المسجد.

هـ - تخصيص راتب لشخص يخدم المسجد، لأنه لا يوجد له خادم يقوم على مصالحه الآن، ولا يستطيعون الحصول على مبلغ يكفي لراتبه على ضآلته.

وقد أعلنت لهم فوراً الإستجابة في الحال لجميع هذه المطالب وقلت لهم بأنه يسرنا أن نجلس في أي وقت ترونه بعد الآن، مع المفتي ومعكم ونقدر ما يلزم لذلك من مال ونودعه دار الفتوى ويصرفه المفتي لكم طبقاً لسير العمل، إلا ما يختص براتب الخادم، فإننا سوف ندفع راتبه لمدة سنة واحدة نضعه في دار الإفتاء ليدفع له منه راتبه شهـراً شهراً، وبعـد ذلك يمكنكم أن تكتبوا إلينا في الرابطة لنرسل لكم راتبه لسنة أخرى.

وقد ضجوا بالشكر والدعاء.

المسلمون في منغاليا:

انتقلنا مع عدد منهم يصل إلى عشرة أشخاص إلى فندق منغاليا وهـو فندق ضخم نـظيف وذلك لتنـاول طعام الغـداء الذي كـان الإخـوة المسلمون في (منغاليا) قد أعدوه بالإتفاق مع المفتي، فوجدنا مطعمه واسعاً نظيف الأثاث، وطعامه جيد عماده السمك والشواء من لحم الغنم.

وكان الحديث عليه مفيداً جداً لي إذْ تطرقنا إلىٰ أحوال المسلمين في هذه البلاد وما استجد منها بعد زيارتي الأولى إلى رومانيا التي وصلناهـا بطريق الجو من بودابست. فنزلنا في عاصمتها بخارست ثم قدمنا إلى هذه المنطقة بالسيارات ومن ثم عدنا إلى بخارست، وبعد ذلك انتقلنا إلى شمال البلاد. وقد قصصت قصة تلك الرحلة في كتاب (خلف الستار العقيدي).

ذكرت هذا لأن أحد الحاضرين على مائدة الغداء وهو الشيخ عثمان عزيز إمام جامع بخارست، ذكر لي أنه لا يزال يذكر المبلغ الذي سلمته للشيخ مفتي بخارست وإمام الجامع فيها، عندما وصلناها وقد توفي بعد ذلك رحمه الله وذكر الشيخ أنهم لم يتسلموا بعده أية مساعدة مالية من أية جهة مع كثرة الوعود التي قطعت لهم.

وبهذه المناسبة ولكون المقصود الأعظم من زيارتنا لهذه البلاد هو الإطلاع على أحوال المسلمين سألناهم عن عدد المسلمين في (منغاليا) فذكروا أن المسلمين فيها يتألفون من ستمائة أسرة تضم حوالي ثلاثة آلاف شخص على أن الأسرة المسلمة الواحدة تتألف من خمسة أشخاص وهذا أقل تقدير يعرفونه.

التقطنا صوراً تذكارية مع الإخوة في فندق منغاليا وغادرناها بعد الغداء عائدين إلى كونستانتا مع طريق يباري ساحل البحر الذي يكاد يكون خالياً من السائحين والمصطافين وكانوا يملأونه في العادة في مثل هذا الوقت من السنة كما أخبرونا.

إلى المجيدية:

المجيدية: مدينة رئيسية في منطقة (دوبرجة) الرومانية التي كانت منطقة أكثرية للمسلمين في السابق، وقد صاروا فيها أقلية عددية في الوقت الحاضر - إذْ بدأ الرومانيون المسيحيون يأتون إليها ويستوطنون وهي منسوبة إلى السلطان التركي عبد المجيد مثل كثير من أسماء المدن والقرى في هذه المنطقة ذات الأسامي التركية.

وتبعد (المجيدية) وبعضهم يقول فيها (مجيدية) بدون (أل) ٤٢ كيلومتراً.

غادرنا كونستانتا قبيل السابعة عصراً والشمس تغرب في التاسعة إلا الربع تقريباً على سيارة المفتي الشيخ (نجاة عثمان) التي يقودها بنفسه.

وتتبعنا سيارة مفتي (دوبرجة) البلغارية الشيخ شناس شاكر) فيها بعض المرافقين وهو يقودها بنفسه أيضاً.

فمررنا بقرية اسمها (فالون كرايان) وهي رومانية أسسها الرومانيون بأنفسهم ولم تكن من قرى المسلمين التي كانوا يسكنونها قبلهم، ومع ذلك سكنها المسلمون معهم حتى صار فيها مائتا أسرة من المسلمين وألف وثلاثمائة أسرة من الرومانيين، وفيها للمسلمين مسجد واحد.

قرية فلاساكا:

وهي مثل قرية (فالون كرايان) في وجود أقلية مسلمة فيها إذْ يبلغ عدد سكانها حوالي ألف أسرة مسيحية ومائة وخمسين أسرة مسلمة لهم مسجد واحد.

وأخبرنا أن الرومانيين لا يزالون حتى الآن يأتون من نواحي رومانيا ويستوطنون هذه المنطقة التي تتميز بسعة الأراضي وقلة السكان فيها.

بلدة بير فتلر:

وللمسلمين فيها وجود ظاهر تمثل في مسجد ظاهر ذي منارة عالية يراه من يأتي إلى المنطقة، فيمر به من أي جهة أقبل، فهو قريب من طريق إزفلتية رئيسية، وكذلك يراه من يكون على سفينة تمخر مياه قناة تشاوشيسكو التي سبق ذكرها.

ولكن بقرب هذا المسجد مصنع للإسمنت لا يزال يلوث سماء المنطقة بأبخرته وأدخنته.

وعلى ذكر تكاثر النصارى في المنطقة عن طريق الإستيطان في هذه المنطقة المسلمة سألتهم عن المسلمين أيزيدون في مقابل ذلك؟ فذكروا أن زيادتهم محصورة في الزيادة الطبيعية في السكان فهم لا يكادون يجمعون بين أكثر من زوجة واحدة، لكون القانون الروماني لا يسمح بذلك، كما أن الحالة المالية للمسلمين لا تسمح لهم بمخالفته سراً، أو بطريق الإحتيال

على القانون كتسمية الزوجة الثانية خليلة بعد عقد الزواج الشرعي بها خفية والإنفاق عليها وعلى الأولاد الذين يأتون منها من باب الشهامة في الإنفاق على الخليلة والإعتراف بالولد الذي يأتي منها.

وسألتهم عما إذا كان حدث أن تنصر أحد المسلمين فنفوا ذلك وذكروا انه لم يحدث مطلقاً، وقالوا وهم من المهتمين المعنيين بهذا الأمر بحكم وظائفهم. إن الذي حدث هو أن فتيات من بنات المسلمين بلغ مجموعهن حتى الآن ثلاثاً وبلغهم أن رابعة ستلحق بهن وهو أن تزوجن بأزواج من غير المسلمين من دون أن يتنصرن أو يعلن رفضهن للدين الإسلامي.

وحتى أزواجهن هم مثل أكثرية السكان غير المسلمين لا يتمسكون بالمسيحية، ولا يتعصبون لها، لعدم إيمانهم بها، لا سيما بعد عقود من الدعوة الإلحادية التي تهاجم الدين أي دين أثناء الحكم الشيوعي على البلاد. وسألتهم عما إذا كان هناك مسلمون جدد يدخلون في الإسلام على أيديهم فنفوا ذلك وذكروا أنه لا يحدث الآن.

ولا شك في أن سببه قلة إمكانات المسلمين العلمية والتربوية، وعجزهم عن أن يصبحوا بدعوتهم وعملهم قدوة لغيرهم من غير المسلمين.

وهذه أمور مؤقتة تزول بزوال أسبابها، متى وجد الإخلاص في العمل والصدق في القول، ولهذا السبب قال لنا الإخوة المسلمون هنا كما قال إخوان لهم في أوروبا الشرقية التي زرناها: إن الأولوية عندنا هي لإصلاح حالة المسالمين وإعادتهم إلى الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً.

قره قوي:

ولم نقل قرية (قرية قوي) لأن هذا هو معنى اسمها بالتركية فهو يعني القرية السوداء قرة: سوداء وقوي: قرية.

وهي قرية مرافقنا مفتي رومانيا الشيخ (نجاة عثمان) والمسلمون فيها كثير بالنسبة إلى القرى والبلدان الأخرى في المنطقة نفسها، إذْ تبلغ نسبتهم

فيها النصف من عدد السكان، وقد أوضح المفتي ذلك بأن قال: إن فيها مائة وعشر أسر من المسلمين يؤلفون أكثر قليلاً من خمسمائة نسمة ومثلهم من المسيحيين.

وتقع هذه القرية في منطقة زراعية خصبة يظهر هذا واضحاً لمن يرى ريفها الأخضر الريان الذي تعمه الحقول وأشجار الفاكهة المتنوعة.

بلدة المجيدية:

أعجبتنا نظافة شوارعها واستقامتها والعناية الظاهرة بأرضها، وبالتشجير فيها إذْ قل أن يوجد شارع لا تحف به من الجانبين الأشجار الخضر الوارفة، وإن كان الجو فيها حاراً في هذه الأمسية الندية، ولذلك رأينا طوائف من أهلها خارج بيوتهم، وقد تخففوا من ملابسهم.

ويبلغ سكان المجيدية إثنى عشر ألف نسمة منهم حوالي ١٢٠٠ نسمة من المسلمين يؤلفون ١٠٪ من سكانها.

جامع المجيدية:

قصدنا تواً (جامع المجيدية) في هذه المدينة وهو من أشهر المساجد في المنطقة بناه السلطان عبد المجيد... أحد مشاهير السلاطين العثمانيين. ولا يزال المسجد محتفظاً برونقه ومظهره البهي البهيج لم تنل منه السنون. ولم نتمكن من الدخول إليه لأننا لم نجد إمامه، ولا من يفتحه لنا، فاكتفينا بالنظر إليه من الخارج - ويقع على شارع (ديجا بال) من وسط المدينة الجيد.

مدرسة المجيدية:

هذه مدرسة مشهورة بل كانت ذات صيت مجلجل في هذه البلاد وما جاورها.

وليست ملاصقة للجامع ولا ملحقة به، بل هي واقعة في شارع آخر من هذه المدينة.



مدخل المدرسة المجيدية

كانت هذه المدرسة موجودة أول الأمر في مدينة (بابادار) التي فيها أكبر مسجد في رومانيا، وتقع شمالاً من كونستانتا على بعد ٩٠ كيلومتراً، وفيها مسلمون من الترك والغجر. حتى كان عام ١٩٠١ م حيث نقلت إلى مكانها هذا في المجيدية نظراً لتكاثر عدد السكان المسلمين فيها وإقبال الناس على المجيء إليها.

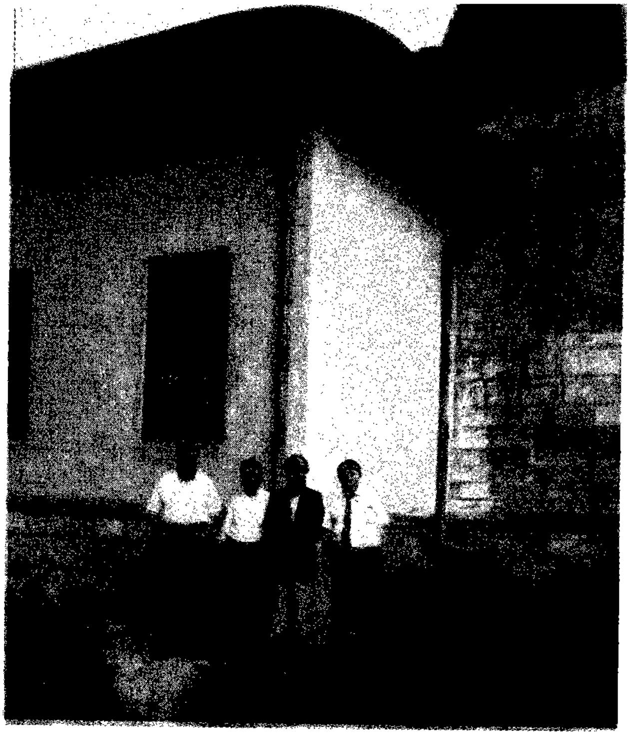
وقد ظلت المدرسة من ذلك التاريخ ١٩٠١ حتى عام ١٩٦٧ م تتلقى الطلاب، ويدرس فيها الدارسون، وذكروا أن عدد الملتحقين كان يتناقص حتى انتهى في ذلك العام ١٩٦٧ م إلى ما يشبه العدم فتوقفت الدراسة في هذه المدرسة العريقة التي خرجت طوائف من أئمة المساجد وطلبة العلم منهم مرافقنا الشيخ (نجاة عثمان) مفتي رومانيا في الوقت الحاضر.

وذكروا أن سبب توقف الدراسة فيها هو تدهور الوضع الديني بصفة

عامة وعدم وجود المجال للمتخرجين منها. لأن الدراسة فيها هي دينية محضة.

أما النفقة عليها فكانت من الاوقاف ومنها عشرة آلاف هكتار من الأراضي الزراعية الخصبة في بابادار كان قد أوقفها عليها مؤسسها (غازي علي باشا). وقد صادرتها الحكومة الشيوعية فيما صادرته من أوقاف المسلمين، وذكرت للمسلمين أنها ستنفق على المدرسة من ميزانية الحكومة بدلاً من الأوقاف ولكنها أنفقت عليها لفترة ثم صارت تحارب الإلتحاق بها حرباً مستترة حتى توقفت الدراسة فيها.

ولا يزال مبنى المدرسة بأيدي المسلمين. ولا يزال من الممكن استئناف الدراسة بها. إلا أن الذي يحد من الإقبال على الدراسة فيها هو ضعف رواتب الأئمة المتخرجين فيها، وعجز المسلمين المالي عن القيام عليها.



وفد الرابطة مع فضيلة مفتي رومانيا عند أحد المساجد القديمة في رومانيا



داخل فناء المدرسة المجيدية

ويخشى على مبناها من أن يصيبه الضرر. لأن فيها الآن سكاناً رومانيين من أهل القرى الذين لا مساكن لهم في المدينة يسكنون فيها بدون أجر، وذكر المفتي أنه يمكنهم أن يخرجوهم منها، إذا عزموا على استئناف الدراسة فيها. إلا أن أولئك النازلين فيها وهم من غير المسلمين قد تركوها دون ترميم فهي تحتاج إلى ترميم شامل ونفقات كبيرة لذلك، لا يستطيعها المسلمون ثم يحتاج افتتاحها واستمرار الدراسة فيها إلى نفقات كثيرة مستمرة هم أعجز عن أن يقوموا بها.

ولا شك في أن إعادة هذه المدرسة الإسلامية إلى العمل من واجب المسلمين القادرين على ذلك في خارج رومانيا، لأنها هي المدرسة الوحيدة التي ظلت تعمل بعد أن انقطعت كل المدارس بل كل روافد المعرفة الإسلامية في البلاد عن العمل. وواجب المسلمين المعنيين في رومانيا



شطر جانبي لجامع المجيدية

وعلى رأسهم المفتي ومعاونوه أن يتبنوا ذلك ويأخذوا بالأسباب له ثم يطلبوا من إخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية مساعدتهم عليه، وقد أخبرتهم أن رابطة العالم الإسلامي على أتم استعداد لتقديم الإسهام الأول المجدي في إعادة تعمير مقر المدرسة وافتتاحها للدراسة الإسلامية الخالصة من جديد، إذا رأت الجدية في تنفيذ المشروع. ورجوتهم في أن يعملوا عليه، لأن علة المسلمين الأولى هي من دون شك في عدم التربية الإسلامية ومن أهم أسباب ذلك عدم وجود المعرفة بأمور الدين وأحكامه، وعدم تبصير المسلمين بأهمية ذلك وسبب ذلك كله هو فقدان العلم والعلماء وبالتالي انتشار الجهل بالدين بين عامة المسلمين.

وفي حديقة المدرسة مسجد معطل، وهي مبنية لتكون مدرسة ومسكناً لبعض الطلبة، والحقيقة أنها لو رممت وأصلح الخلل فيها لأسهمت في إيجاد مورد للأوقاف قبل أن تصبح مدرسة تستعمل للدراسة.

وبدأنا العودة إلى كونستانتا مع غروب الشمس.

وكان العشاء في بيت أحد الإخوة الكرام وهو إمام جامع الملك في كونستانتا ذكروا أن البيت مملوك له، وهو شقة ضيقة الغرف في بناية كبيرة، ومع ضيق ذات اليد عند الإمام فإن عشاءه كان فيها مؤلفاً من الحساء وصحن من البطاطس ولحم الغنم، ولحمهم هنا لذيذ الطعم جيد. ومع ذلك صحن من (المكرونة) والسلطة.

وأهم من ذلك الماء المعدني وعصير الفاكهة والكوكا كولا التي كان الأخ الكريم يأتي بها ويكثر منها، وكنا نشرب منها ونكثر من ذلك بسبب الحر الذي نشعر به شديداً، لأن المنازل ليست فيها مراوح ولا تكييف حتى الفندق ليس لديه شيء من ذلك كما سبق.

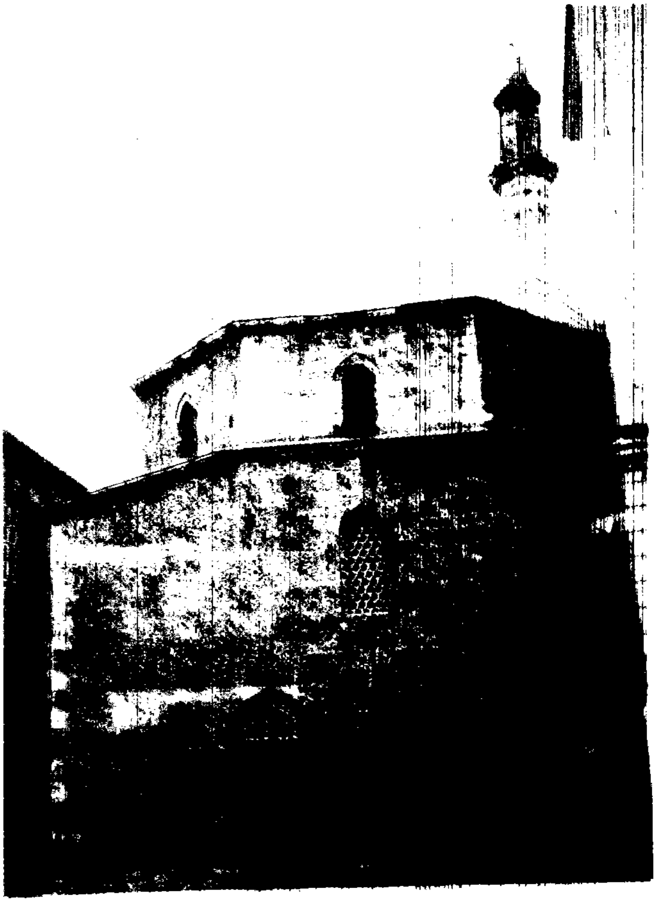
يوم الخميس ١٤١٢/١/٧ هـ - ١٩٩١/٧/١٨ م:

توزيع المساعدات العاجلة:

نحن نحمل مبالغ مالية نقدية بالدولار الأمريكي وذلك في كل سفرنا في أوروبا الشرقية. وقد تعمدنا حملها معنا وكونها بالدولار، لأن العملات المحلية في تلك البلاد تتدنى قيمتها باستمرار، والدولار الأمريكي يباع في السوق الحرة بأكثر من قيمته أضعافاً في بعض الأحيان، وقد صار بيعه في السوق الحرة أمراً مباحاً أو شبيهاً بالمباح لا تعترض عليه السلطات مع علمها بذلك، لكونها أباحت السفر لرعاياها وأباحت استيراد بعض السلع من دون أن تكون لديها الدولارات الكافية. فلا تمانع في أن يحصلوا عليها بالطرق التي يستطيعونها.

وقد كنا ندفع ما نرى للمشروع الذي نجد أنه بحاجة إلى مساعدة مالية عاجلة، وقد ذكرنا من ذلك ما دفعناه، ولدار الفتوى رواتب لأئمة المسجد لمدة سنة واحدة ابتداء من شهر (يوليو) الحالي بمعدل (٣٠) دولاراً في الشهر لخمسة وثلاثين إماماً من أئمة المساجد.

وفي صباح هذا اليوم اجتمعنا في دار الفتوى بالمفتي الشيخ (نجاة عثمان) ومع موظفي الدار وبعض أئمة المساجد، ودفعنا لهم مساعدات عاجلة مفصلة لنواحٍ أخرى غير رواتب الأئمة مثل ترميم بعض المساجد



جامع المجيدية

ومساعدة رمزية لموظفي دار الإفتاء، لأنه أصبح من المعروف في البلاد كلها أن الرواتب لا تكفي الموظفين.

وقد كان الإجتماع في هذا اليوم أشبه بالإحتفال، إذْ بدأ بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلاها إمامان بالتعاقب أحدهما كانت تلاوته ممتازة إذْ كان صوته شجياً وتلاوته متقنة، وكلاهما يقرأ كما يقرأ الأتراك الذين نعرفهم من لفظهم بالكلمات رغم سلامة نطقهم من حيث اللغة العربية فلا يخطئون في التلاوة ولا في لفظ الحروف وإنما نعرف ذلك من مخارج الصوت أو لنقل من جرس الكلمات.

وإلى جانب هذه النفقات العاجلة التي فصلنا لهم كيفية صرفها وعدناهم بالنظر في مشروعات أخرى طلبوا منا المساعدة عليها. كما أخبرناهم بأننا سنرسل إليهم مصاحف وكتباً إسلامية طلبوها منا.

وكررنا عليهم الأمر بالكتابة إلى الرابطة وتكرار ذلك حتى الإستجابة،

لأن الطلبات التي ترد إلى الرابطة من العالم هي كثيرة. لذلك يحتاج الأمر إلى التأكيد أكثر من مرة وتكرار ذلك حتى ترد الإجابة بالإستجابة أو الإعتذار.

وفي نهاية هذا الإجتماع المبارك الذي تم فيه تبادل الأحاديث المفيدة المتعلقة بأوضاع المسلمين في العالم انتقلنا بصحبة المفتي إلى السوق المجاور لدار الإفتاء للإطلاع والتسوق منه، فوجدنا البضائع المصنوعة محلياً رخيصة بالنسبة لأمثالنا الذين يحملون عملة أجنبية صعبة، أما بالنسبة لمن يريد الأشياء الجميلة المتقنة، فإنه لن يجد ما يريده هنا. واشترينا بعض المصنوعات المحلية بأسعار رخيصة جداً بسبب انحدار قيمة (اللي) الذي هو العملة الرومانية.

إلى بلدة أناضول:

اعتذرنا عن بقية برنامج حافل كانوا قد أعدوه لزيارتنا ويشمل زيارة مدينة (بابادار) التي تبعد (٩٠) كيلو متراً عن كوتستانتا وكذلك مدينة أخرى تبعد (١٣٠) كيلو متراً عنها، وذلك بسبب ضيق الوقت، لأن لنا بقية من العمل في بلغاريا ونحن الآن في آخر جولة شملت عدداً من دول شرق أوروبا، ووافقنا على ما يتعلق بما كان قريباً من مدينة (كونستانتا) ومن ذلك بلدة (أناضول) التي سميت على اسم الأناضول الشهير في تركيا وإن كانت بلدة صغيرة أو قرية كبيرة.

ذهبنا إليها في الساعة الواحدة ظهراً متجهين جهة الشمال على سيارة مفتي رومانيا الشيخ نجاة عثمان وهي رومانية الصنع من طراز داسيا تتبعها سيارة مفتى دوبرجه الشيخ شناس شاكر التي هي بلغارية النسبة، روسية الصنع من طراز لادا.

وتقع قرية الأناضول على بعد ١٧ كيلو متراً من قلب هذه المدينة وهي (أنادول قوي) كما يسمونها باللغة التركية التي هي لغة المسلمين في هذه البلاد وإن كانوا كلهم يعرفون اللغة الرومانية لغة البلاد. فقوي: تعني قرية

كما سبق. وقد غير الرومانيون اسمها عندما كثروا في المنطقة فجعلوه (قنره دو فيديو).

ويبلغ عدد سكانها ستة آلاف نسمة فيهم عدد يتراوح بين ٨٠٠ و ٩٠٠ من المسلمين.

قصدنا بيت إمام القرية الشيخ (عمر السادات) وذلك لتناول طعام الغداء فيه حسب البرنامج، وكأنما كان الإخوة الرومانيون يرون أنه من غير المناسب أن يتناول ضيوفهم طعامهم في الفندق إكراماً لهم.

وقفنا قبيل الوصول إلى البيت عند بيت لأحد المسلمين فيه امرأة مسنة تصنع الصابون وقد وضعته في إناء حديدي (برمبل) على النار وهو كالعصير تحركه بقوة بمحراك في يدها.

وهذا الصابون الوطني المحلي يستعمل على نطاق معين، لأنه لا تدخله المواد الكيماوية الضارة.



تذكارية في حديقة منزل أمام قرية انادول في رومانيا (من اليمين) رحمة الله بن عناية الله مفتي رومانيا الشيخ نجاة عثمان، فالمؤلف فإمام القرية فحاتم قاضي

وجدنا بيت الأخ الشيخ (عمر السادات) جميلاً حقاً فهو واسع لأنه في الريف وهو نظيف غاية النظافة له مقدمة خضراء مزهرة فيها كلب مربوط للحراسة.

جلسنا في غرفة الطعام مباشرة لأن الشيخ المفتي كان قد أخبره أننا نفضل السرعة اغتناماً للوقت فأعجبتنا النظافة التامة، والذوق الراقي الماثل في بيته وفي أثاثه كله.

قدم لنا مضيفنا أول الأمر حساءاً لذيذاً لا يخلو من الدسم كما هي عادتهم في أن يكون كذلك في البلدان الباردة في الأصل، وإن يكن الجو الآن حاراً ثم أعقبه بإحضار (الكسكسو) المغربي الذي لم يتغير عما عهدناه عليه في المغرب ويسمونه (الكسكسو) كما أخبرونا. ثم جاء بصحن من البطاطس المقلي وكان مع ذلك لحم من لحم الضأن اللذيذ السخي الذي من أهم ميزاته عندي أنه قد استبعد منه الشحم الثقيل - ثم أحضر لبناً رائباً لذيذاً، وبعد ذلك الفاكهة والحلوى، وأهم الفاكهة الآن هو المشمش والكرز.

أكلنا هنيئاً في بيت هذا الأخ الكريم ثم أسرعنا منصرفين منه، والتقطنا صورة تذكارية في الحديقة التي تتقدمه، وقد ازهرت وأثمرت، فأشجار الفاكهة فيها قد تدلت من أفنانها، وأزهارها قد برزت من أكمامها، وكأنما ذلك كله يبتسم للإخوة المسلمين القادمين من جوار الكعبة المشرفة في البلد الحرام.

ولاحظت أن السياج الذي يفصل بين بيته وبيت جيرانه إنما هو سياج خشبي قصير غير ساتر فهو منفرج لا يستر من خلفه، وذكرت بذلك ما أخبرني به أحد الإخوة من بني قومنا وقد سمع قوماً منا يتحدثون في مزايا الإصطياف في مصايفنا التي يبلغ طيب الهواء فيها في فصل الصيف ما يبلغه في أوروبا، وهي بعد ذلك وقبل ذلك بلادنا التي ينبغي أن ننفق نقودنا داخلها.

وقد أخبرني ذلك الأخ أنه كان يعتقد بهذا الأمر ويتمسك به ويدعو

إليه إلى أن ذهب إلى أحد البلدان السعودية التي تقع في منطقة الإصطياف في جبال السروات قال: وتقدمت أهلي لأجهز لهم بيتاً استأجر هناك، واستأجرته بالفعل، وكان الهواء عليلاً، يتدفق من النافذة بحنان في وقت كان السموم يصلي بناره أكثر أنحاء المملكة ومنها الرياض حيث أقيم.

قال: فجلست عند النافذة أقرأ جريدة في يدي، وأنا في غاية السعادة لظفري بهذا البيت الذي كان نسيمه يداعب وجهي برفق.

وبعد ساعتين أو نحوها طرق عليّ باب المنزل، فعجبت من ذلك لأنه لا أحد يعرف أنني قد استأجرت هذا البيت ولم تصبح لي علاقة بأحد من أهل البلدة؛ وفتحت الباب فإذا برجل لا أعرفه يقول لي: أنت الذي في هذا البيت؟ فقلت له: نعم، قال: وليس فيه معك أحد؟ قلت: لا، ولكن لم هذا السؤال؟ فأجاب: لأخبرك أننا لا نرضى بأن تقعد في الطاقة - أي النافذة - فقلت له: لماذا وأنا استأجرته لأن فيه نوافذ يأتي منها الهواء البارد؟

فقال: نحن نافذتنا أمام نافذتك ولدينا (عائلة) فلا نريد أن تنظر إليها. فقلت له: أنا لم أعرف بوجود (عائلتكم) ولكن إذا كنتم لا تريدون أن ينظر أحد إليهم من خلال النافذة عليكم أن تستروا النافذة بستارة من القماش تحجب الرؤية أو تغلقوها.

قال: أما غلق النافذة فلا لأننا نريد أن يدخل منها الهواء، وأما الستارة فإنها لا تسترنا لأن الأطفال قد يعبثون بها فيزيلونها وأنت (رجال) عازب ما يمكن تسكن قدام بيت فيه (عائلة) وعليك إغلاق النافذة.

قال: فأخذني الغضب، وقلت له: لا، لن أغلق النافذة فأنا مثلكم أبغي الهواء البارد، وجئت إلى هذه البلدة من أجل ذلك، وإذا أغلقت النافذة والباب مغلق أيضاً أصبحت كأنني في سجن. ولا أريد أن أكون كذلك.

فاحتد جاري وقال: أنت تريدني أن أذهب للشرطة وأشتكي عليهم فيأتي شرطي يحقق معك ويخرجك من المنزل إذا عاودت فتح النافذة.

وأرجو ألا يفهم من هذا أنني أحبذ أن يكون الحاجز غير ساتر بين الجيران، بل الستر مطلوب. وإنما أردت هنا مجرد المقارنة دون المفاضلة.

العودة إلى كونستانتا:

في الثانية والنصف عدنا إلى مدينة كونستانتا التي لن نبقى فيها طويلاً وإنما كان ذلك لأنها الطريق الطبيعي لنا إذْ كنا في قرية الأناضول شمالاً منها ونريد الذهاب منها إلى الحدود الرومانية مع بلغاريا التي تقع جهة الجنوب.

وكان أكثر ما استرعى انتباهنا في الطريق إلى كونستانتا كثرة أشجار الفاكهة المثمرة وبخاصة العنب الذي أثقل أغصانه والشمس صاحية والجو يعتبر حاراً بالنسبة إلينا فهو أشد حرارة من الطائف في مثل هذا الوقت من النهار وفي هذا الفصل.

وقد أخبرني الإخوة هنا أنهم يتوقعون هطول أمطار بعد هذا الحر. وإنها إذا تخلف المطر تضررت المزروعات التي أكثرها حقول مزروعة على المطر. ولم يأتِ المطر في هذا اليوم ولا في الذي بعده ولكن بعد حوالي خمسة أيام سمعنا في الأخبار أن سيولاً جارفة، وفيضاناً عارماً قد أصاب هذه المنطقة من رومانيا بالذات.

إلى منطقة الحدود:

غادرنا مدينة كونستانتا في الثالثة بعد الظهر قاصدين منطقة الحدود الرومانية مع بلغاريا للسفر إلى هناك على سيارة صديقنا ومرافقنا المفتي الشيخ (نجاة عثمان) الذي أبى إلا أن يرافقنا حتى الحدود الرومانية التي استقبلنا فيها عند القدوم، وقد حاولت منعه من ذلك تلافياً لمشقة سفره جزاه الله خيراً. وتبعد الحدود عن كونستانتا بـ ٨٠ كيلومتراً كما سبق.



عند المركز الروماني

قرية تابري:

مررنا بقرية تسمى (تابري) فقال المفتي إن فيها مسلمين هم ١٤٠ أسرة من مجموع سكانها البالغ ثلاثة آلاف أسرة، وفيها مسجد جامع كان المفتي يؤم به المصلين بعد تخرجه من المدرسة المجيدية. وكذلك:

قرية موفلتا:

فيها جامع ومقبرة خاصة بالمسلمين. وقد رأينا مسجدها من الطريق ذا منارة شامخة، يؤنس المسلم منظرها في هذه البلاد التي كانت شيوعية ملحدة، وعادت كما كانت قبل الشيوعية نصرانية تقليدية. إلا أن نصرانيتها قد أضعفتها الشيوعية ومقتضيات العصر التي جعلت الناس يحكمون عقولهم في كثير من المعتقدات النصرانية التي كانت شائعة عندهم.

وتبعد قرية موفلتا عن الحدود مع بلغاريا بحوالي ٤٠ كيلو متراً.

قرية حمزة تشا:

كان المفتي الشيخ (نجاة عثمان) ينطلق بسيارته ويحدثنا عن القرى التي نمر بها، وعن سكانها المسلمن فنرى منها في هذا النهار ما لم نستطع أن نراه في الليل عندما قدمنا من الطريق نفسه.

والمنطقة زراعية خصبة ذات حقول نضرة منها حقول القمح الحصيد، وحقول الذرة المزدهرة.

وذكروا بهذه المناسبة أمهم ينتجون من القمح ما يكفيهم ويفيض عن حاجتهم فيصدرونه للخارج، بل إنهم قالوا: إنهم ينتجون من أصناف الغذاء الذي يحتاجونه على اختلافها ما يكفيهم ولا يحتاجون إلى استيراد شيء من الغذاء من الخارج إلا ما لا يعد غذاء مثل القهوة.

والحقيقة أن الإزدهار الزراعي الموجود عندهم لا فضل لهم فيه إن صح التعبير ـ لأن بلادهم خصبة بطبيعتها وهي كثيرة الأمطار والأنهار فما عليهم إلا التصرف في أرضها بالزرع، وما يتطلبه ذلك من العناية المعتادة كالتسميد ومكافحة الحشرات.

إلا ما كان من ذلك في الشتاء فإن أرضهم تعقم عن الإنتاج لشدة البرودة وتساقط الثلوج.

وصلنا قرية تسمى (حمزة تشا) واسمها ـ كما ترى ـ يوحي بدون تفكير بأنه إسلامي فيها مسجد له إمام راتب كان من بين الأئمة الـذي حضروا لمقابلتنا في كونستانتا.

وهي قبل الحدود بـ ٢٢ كيلو متراً.

أما الطريق فإنه دولي إذ هو الذي يمتد إلى حدود بلغاريا ثم يدخل ويستمر داخلها، ولكنـه ضيق جداً، بحيث أنـه لا يكاد يتسـع للسيارتين المتقابلتين. وتحيط به أشجار ضخمة كانت مغروسة منذ وقت قديم تحد الآن من سعته ولا شك في أنها كانت قد غرست قبل التطور الأخير للطرق الحديثة السريعة.

قرية كومانا:

وصل الطريق إلى قرية تسمى (كومانـا) ليس فيها مسلمـون، وإنما جميع سكانها هم من المسيحيين.

ويلاحظ هنا أنهم يصنعون كما رأيت أهل الإتحاد السوفيتي يفعلون وذلك بأن يكتبوا اسم القرية قبل الوصول إليها، ثم يكتبوا اسمها أيضاً بعد أن يتجاوزها الطريق ولكنهم يضربون عليه بخط أحمر إشارة إلى أن الطريق قد تجاوزها ولم أرَ هذه الطريقة متبعة في أكثر البلدان.

بلدة نقرو قودا:

وفيها مسلمون يبلغ عددهم أربعين أسرة من مجموع سكانها البالغ ستة آلاف أسرة.

وفي هذه القرية مسجد واحد ذو منارة شامخة يرى واضحاً من هذا الطريق الدولي المهم، وتسبق هذه الدولـة الحدود بين رومـانيا وبلغـاريا بمسافة ٦ كيلو مترات.

على الحدود الرومانية:

وصلناها فوجدناها مزدحمة بالسيارات من كافة الأنواع ففيها سيارات الركوب الصغيرة والحافلات وسيارات النقل، وتبدو هذه السيارات وكـأنها راكدة، لأنها واقفة قد نزل منها أصحابها وركابها، وجلسوا في انتظار غير مريح على قارعة الطريق الخالي من الأرصفة، وإنما جـانب الطريق من الطين الذي فيه مجرى جاف لمياه الأمطار، وترفرف عليه أشجار الطريق الضخمة.

وخشينا من ضياع الوقت وسط هذا الزحام، إلا أن المفتي حفظه الله سار بسيارته متجاوزاً السيارات الأخرى الـواقفة حتى وقفت في نقـطة قد سدت السيارات المنتظرة فيها الطريق، ثم نزل من سيارته حاملاً جوازاتنا ودخل بها إلى ضباط الجوازات ثم عاد بها إلينا سريعاً.

وذلك لوجود أوراق يحملها تثبت أنه شخصية مهمة لها حق التقديم إضافة إلى أن جوازي (دبلوماسي) له حق التقديم أيضاً.

وهكذا تجاوزنا مركز الحدود الرومانية بسرعة بعد أن ودعنا أخانا الكريم الشيخ (نجاة عثمان) مفتي رومانيا. وركبنا جميعا في سيارة الشيخ (شناس شاكر) مفتي دوبرجة البلغارية.

وقد وصلنا إلى بلغاريا والحديث عن ذلك في كتاب آخر عنوانه «كنت في بلغاريا» وهو كتاب مطبوع، ولله الحمد.

خاتمة

إن فتح السلطان محمد الفاتح لمدينة القسطنطينية التي كانت معقلاً للمسيحية الأرثوذكسية وعاصمة الإمبراطورية البيزنطية في عام ١٤٥٣ م والتجاء قادة الأرثوذكس إلى قيصر روسيا الذي نصب نفسه محامياً عن الأرثوذكسية ووريث الإمبراطورية البيزنطية، ثم توغل فتوحات الأتراك العثمانيين في أوروبا وإقبال الجماعات التي اضطهدتها المسيحية على اعتناق الإسلام بالإضافة إلى فشل الحروب الصليبية في الشرق العربي مما أدى إلى إثارة أحقاد الصليبيين ضد الدولة العثمانية فتكالبت عليها كل القوى المعادية حيث حرضت روسيا أدعياء النزعة القومية من رعايا الدولة العثمانية ثم اقترح الإمبراطور الروسي نيقولا الأول على انكلترا اقتسام الدولة العثمانية عام ١٨٥٤ وقد نفذ ملوك أوروبا ذلك التقسيم عبر سلسلة من الحروب والثورات ثم بموجب معاهدات غير متكافئة فرضت على الدولة العثمانية ومنها معاهدة برلين عام ١٨٧٨ التي أدت إلى انفصال دول البلقان.

ومع تلاشي الحكم العثماني من شبه جزيرة البلقان بدأ الإضطهاد الديني ضد المسلمين فمثلاً في المجر أجبر أمراء آل هامبسبورغ المسلمين على الإرتداد والتنصر.أو الهجرة منها، وكذلك فعل ملوك بلغاريا والصرب وكان المسلمون في نظرهم يمثلون مخلفات العثمانيين التي يجب التخلص منها وطبقت حكومات البلقان إجراءات تعسفية ضد المسلمين ومنها هدم وتدمير المساجد، فمثلاً لا يوجد في بودابست عاصمة المجر مسجد واحد

حالياً من ٨٣ مسجداً كانت في العهد العثماني، وصادرت الأوقاف الإسلامية فمثلاً صادرت رومانيا كل الأوقاف الإسلامية كما منعت التعليم الإسلامي وحظرت ممارسة الشعائر الدينية مما أدى إلى اختفاء المسلمين في المجر وتشيكوسلوفاكيا وتقلص عدد الموجودين منهم، فمثلاً هبطت نسبة المسلمين من ٥٥٪ عام ١٨٧٧ إلى ٣٠٪ عام ١٩٨٩ م في بلغاريا. ولا تزال صور من هذا الإضطهاد الديني ضد المسلمين موجودة في اليونان حالياً مع أنها ليست دولة شيوعية.

بعد الحرب العالمية الثانية وسيطرت الأنظمة الماركسية على حكم دول شرق أوروبا وجد الحاقدون الصليبيون في الحكم الشيوعي أسلوباً جديداً لاضطهاد المسلمين وتشديد الضربة عليهم، وهكذا استمرت معاناة المسلمين تارة بسبب صلتهم بالأتراك العثمانيين وأخرى بسبب النظرة الشيوعية والغاية من هذا وذلك هو استئصال وجودهم.

هذا التراكم التاريخي في سوء المعاملة واستمرار الإضطهاد المبرمج الثابت بالرغم من تغير الأنظمة الحاكمة في شرق أوروبا على المدى الطويل إلى زيادة العنف وقسوة الإجراءات الغاشمة ضد المسلمين الذين تفاقمت مشكلاتهم وتأزمت ظروفهم وساءت أحوالهم هناك التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

الناحية الإقتصادية:

حيث يعيش المسلمون حالياً في ظروف اقتصادية صعبة وأغلبهم فقراء ولا تتاح لهم فرص العمل ومن يعمل منهم يتقاضى راتباً لا يكفي متطلبات أسرته مثل الأئمة في رومانيا وبلغاريا وأصبح ارتفاع الأسعار والتضخم هاجساً يخيف الأسر المسلمة.

الناحية العلمية والتعليمية:

لم يكتفِ أعداء الإسلام بحرمان المسلمين من التعليم الإسلامي بل قاوموا التحاق أبناء المسلمين في الجامعات والمعاهد العلمية بهدف نشر

الجهـل بين المسلمين وحتى لا تكون لهم مـراكـز ومنـاصب قيـاديـة في الحكومات المحلية، ومع ذلـك فهناك بعض الجـامعيين المسلمين الذين كافأتهم حكوماتهم بسبب تعاونهم معها ولمست فيهم إمكانية استخـدامهم لإنفاذ سياستها ضد المسلمين. ويوجد أبنـاء المسلمين في أكثر الأعمـال والأشغال المعتادة، المنخفضة المستوى.

الناحية السياسية:

عملت القوى المعادية على حرمان المسلمين من حقوقهم الإداريـة والنيابية وإبعاد المسلمين من مراكز القوة ووظائف السلطة، ولم يبلغ أحد منهم إلى مناصب وزارية بل كان اشتراكهم وتمثيلهم في البرلمان ومجالس الشعب معدوماً أو محدوداً، فمثلاً لا يوجد في برلمان رومانيا عضو مسلم يمثل ٧٠ ألف مسلم بينما يضم يهودياً يمثل عشرين ألف يهودي.

كما أن علاقة المسلمين عامـة بالعـالم الإسلامي لا تتم إلا ضمن الإدارة الدينية التي شكلتها الدولة نظاماً للإتصالات الرسمية وما يتم خارجها تنظر إليه بشك وريب ويتعرض فاعله للمساءلة والإعتقال.

كذلك جمدت دول البلقان جميع المعاهدات والإتفاقيات التي تمت مع تركيا بخصوص حقوق الأقليات المسلمة ولم تراعِ حرمة لـلإتفاقيـات الدولية التي تنص على تأمين الحريات واحترام حقوق الإنسان.

الناحية الشخصية والنفسية:

عملت أجهـزة الحكم الصليبيـة على تحـطيم شخصيـة المسلمين بالسخرية والإستهزاء بهم وخاصة بمن يتمسك بممارسـة الشعائـر الدينيـة وإيذائهم وتعذيبهم ووصفهم بالتخلف والخيانة والعمالة الأجنبية ثم بتمزيق أواصر الأسرة المسلمة وإجبار الفتيات المسلمات على الدعارة وتزويجهن بغير المسلمين وتحقير الرموز الدينية والشخصيات الإسلامية ونشر الرعب بين أفراد المسلمين.

الناحية الإسلامية:

لا شك في أن الهدف الأساسي الذي استهدفه الحاقدون الصليبيون هو القضاء على الإسلام ومعالمه في تلك البلاد وقد اتخذت طرقاً عدة منها:

١ - مصادرة الأوقاف الإسلامية التي كانت تغذي وتمول النشاطات الإسلامية المختلفة، ويجد المسلمون فيها قوتهم المادية التي تؤمن حاجاتهم الدينية.

٢ - إغلاق المساجد والمدارس الإسلامية وتحويل بعضها إلى متاحف ومستودعات وإزالة بعضها بسبب زيادة عددها وعدم الحاجة إليها وإهمال ترميم وإصلاح بعضها التي تركت رموزاً تاريخية حتى تنهار بمرور الزمن.

٣ - حظر التعليم الإسلامي بكل صوره ومعاقبة المدرسين والطلاب الذين يتعلمون قراءة القرآن الكريم ومبادىء الإسلام بشدة واعتقال الأئمة والعلماء.

٤ - إتلاف الكتب الإسلامية ومنع تداولها ودخولها ووصولها إلى المسلمين ومعاقبة كل من يخالف ذلك.

٥ - منع ممارسة الشعائر الدينية والعادات الإسلامية مثل الختان وأداء الصلوات وصوم رمضان وأداء فريضة الحج وتحريم استعمال التعبيرات الإسلامية ومنعهم من التلفظ بالشهادتين علناً.

٦ - إبعاد المسلمين عن تراثهم الإسلامي وثقافتهم الدينية وتلقينهم المبادىء الماركسية والإلحادية وتربيتهم على التفكير المادي وتجريدهم من أخلاقهم وآدابهم الإسلامية.

والواقع أن المعاناة التي لقيها المسلمون من الحكم الصليبي والشيوعي أدت بهم إلى ظروف ثقافية واجتماعية ونفسية سيئة ناهيك عن

تـدهور أحـوالهم الإقتصاديـة ؛والسياسية، حيث تكـالبت عليهم السلطات الشيوعية والحركات الصهيونية والأحقاد الصليبية بممارسة أسلوب البـطش والقوة الجسمية والنفسية لاستئصال نور الإسلام من صدور المسلمين وتشويه أحكامه وتعاليمه بعـد أن حرمتهم من التعليم الـديني والثقافـة الإسلاميـة وحظرت إتصالهم الفكري مع إخوتهم في العالم الإسلامي وأتلفت تراثهم الثقافي. ثم وجهت أجهزة التعليم والثقافة والأعلام لمحاربة الإسلام بحشو أفكارهم وعقولهم بمبادىء الإلحاد والكفر والتضليل، وقد نجح الشيوعيون إلى حد ما في مخططاتهم حيث يظهر ذلك في ضعف تمسك المسلمين بالشعائر الإسلامية وضآلة ثقافتهم الدينية وتشوه أفكارهم وشعورهم بالضعف والنقص والخنوع والفقر والحرمان.

وفي الوقت الذي انهارت فيه الأنظمة الشيوعية بدأت الهيئات الصليبية والصهيونية تشن حرباً جديدة ضد المسلمين عن طريق الإيحاء للمجتمعات التي يعيشون فيها بأن المسلمين يعملون على تنظيم حركات إرهابية وجهاد مقدس يستهدف السيطرة عليهم. وإنما هم بهذا يحاولون إجهاض أية حركة إسلامية تنادي بحقوق المسلمين وتحسين أحوالهم. وكذلك تعمل هيئات التنصير العالمية باستعمال أسلوب الإغراء النفسي والعون الإقتصادي على نشر مبادئهـا بين المسلمين مستفيدة من ظروفهم الإقتصادية السيئة وفراغهم الروحي والثقافي كما تعمل حكومات البلدان التي يعيشون فيها على إبعاد المسلمين عن مراكز القوة وصنع القرار إمعانـاً في حرمـانهم من الحقوق السياسية بدعوى الجهل والتطرف والعمالة.

ومما لا شك فيه أن معالجة المريض تستدعي تشخيص مرضه بدقة ثم معالجته بدواء مناسب وكافٍ. وكذلك الحال بالنسبة للمشكلات التي يواجهها المسلمون في دول أوروبا الشرقية فإنهم يحتاجون إلى المساعدات التالية.

١ ـ دعم سياسي يمكنهم من حماية حقوقهم وممارسة حرياتهم.

٢ ـ مساعدات اقتصادية تعينهم على تحسين ظروفهم المالية للإكتساب والإعتماد على الذات.

٣ ـ مساعدات علمية وثقافية تعينهم على تصحيح مسيرتهم الإسلامية وتحفظ كيانهم الإنساني في المجتمعات التي يعيشون فيها.

التوصيات العامة

١ ـ أهمية الإستفادة من الوزن السياسي والإقتصادي والمكانة الجيدة التي تحتلها المملكة العربية السعودية في العالم المعاصر في تحسين أحوال الأقليات المسلمة بدراستها خلال اللقاءات الدولية والإتصالات الثنائية وخاصة عند إنشاء علاقات دبلوماسية مع دول أوروبا الشرقية على تحقيق ما يلي:

أ ـ طلب اعتراف تلك الدول بحقوق الأقليات المسلمة الدينية والإجتماعية والثقافية.

ب ـ دعم مطالبهم العادلة في المحافل والإجتماعات الدولية ومساعدتهم على عرض مشكلاتهم واكتساب حقولهم ورفع معاناتهم بالضغط السياسي والإعلامي.

جـ ـ دعوة حكومات الدول الإسلامية بواسطة منظمة المؤتمر الإسلامي للإهتمام بأمور المسلمين في دول الكتلة الشرقية السابقة في محادثاتها الثنائية وفي المحافل الدولية بتأييد حقوقهم ومطالبهم العادلة.

٢ ـ إقامة علاقات دبلوماسية بين المملكة العربية السعودية وبين دول أوروبا الشرقية وخاصة ألبانيا وبلغاريا وبولندا أو على الأقل فتح مكتب تجاري سعودي يؤدي إلى توطيد الصلة الأخوية بالمسلمين وتشجيع رجال الأعمال السعوديين على التجارة وإقامة مشاريع

استثمارية وبنوك إسلامية في مناطق المسلمين مما يؤدي إلى تحسين أحوالهم.

٣ ـ الإهتمام بالبث الإذاعي الإسلامي الموجه لمسلمي دول الكتلة الشرقية بهدف تعريفهم بحقائق دينهم الحنيف وماضيهم المجيد وأحوال إخوانهم في العالم الإسلامي وتغذيتهم بالثقافة الإسلامية وذلك بـ:

أ ـ تقوية البث الإذاعي الإسلامي بإنشاء أو استئجار محطات إذاعية في الدول المجاورة لأوروبا الشرقية مثل تركيا وقبرص.

ب ـ استئجار ساعات معينة في إذاعات وتلفزات دول أوروبا الشرقية وبث مواد توعية وتعريف وإرشادات دينية وثقافية إسلامية.

جـ ـ حث دول منظمة المؤتمر الإسلامي على بث برامج إسلامية باللغات المحلية لدول الكتلة الشرقية من إذاعاتها وكذلك دعوة منظمة الإذاعات الإسلامية إلى وضع خطة مشتركة في البث الإسلامي ووضع برامج ومواد إسلامية لهم.

٤ ـ دعوة الهيئات الإقتصادية والمؤسسات الصناعية والبنوك الإسلامية إلى إقامة مشروعات استثمارية في مناطق المسلمين للإستفادة من الأيدي الإسلامية العاملة والمنتوجات المحلية.

٥ ـ دعوة الشركات والمؤسسات التجارية لإعطاء أولوية التعامل الإقتصادي والتجاري إلى الشركات والمؤسسات التي تعمل بها غالبية إسلامية وأن يخصص نسبة من دخل تلك الشركات لصالح الدعوة والمشاريع الإسلامية لضمان استمرارها.

٦ ـ دعوة مجالس الغرف التجارية في دول العالم الإسلامي إلى إعطاء الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في دول الكتلة الشرقية الحق في الإشراف والتأكد من توفر المواصفات الشرعية للمواد الغذائية المصدرة إلى الدول الإسلامية.

٧ ـ دعوة مكاتب استقدام العمال والشركات والمؤسسات الصناعية

والمعمارية في دول العالم الإسلامي لاستقدام الأيدي العاملة المسلمة من دول الكتلة الشرقية بغية تحسين ظروفهم الإقتصادية العملية بما يخدم مجتمعاتهم المسلمة.

٨ - توثيق العلاقات الأخوية مع الهيئات والشخصيات الإسلامية في دول الكتلة الشرقية من خلال زيارات ولقاءات بهدف رفع معنوياتهم الإسلامية وتوطيد صلتهم بالأمة الإسلامية.

٩ - دعوة عدد من شخصيات المسلمين وزعمائهم ورجال الفكر والعلم المسلمين من دول الكتلة الشرقية في غير موسم الحج لأداء مناسك العمرة بغية اطلاعهم على ما بلغته المملكة العربية السعودية من تقدم وتطور حضاري مع تمسكها بالإسلام لرفع معنوياتهم الروحية وتأكيد ثقتهم بدينهم الحنيف.

١٠ - دعوة عدد من شخصيات المسلمين وأئمتهم من دول أوروبا الشرقية لأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة ضيوفاً على الرابطة سنوياً مع تأمين تذاكرهم ونفقاتهم.

١١ - دعوة الأجهزة الإعلامية والجامعات ومراكز البحوث الإسلامية للإهتمام بقضايا المسلمين في دول الكتلة الشرقية بالتحقيق والدراسة والتعريف وتقديم المعلومات الصحيحة التي تعكس وجهة النظر الإسلامية حتى لا تكون أجهزة الإعلام الغربية والصهيونية المعادية للإسلام هي المصدر الوحيد للمعلومات.

١٢ - دعم وتشجيع طبع ونشر الكتب والمواد الإسلامية التي توضح تاريخ المسلمين ومجدهم وحضارتهم مما يعيد فيهم الثقة بالنفس والإعتزاز بالإسلام وذلك بعمل ما يلي:

أ - تكليف علماء مختصين بوضع دراسات وأبحاث في موضوعات معينة من تاريخ المسلمين في دول الكتلة الشرقية يعرف المسلمون منها ماضيهم التليد.

ب - المساعدة المالية على نشر ما يتوفر من الكتب الإسلامية ودعم المجلات المختصة هناك لأداء رسالتها.

١٣ - تخصيص منح دراسية لأبناء مسلمي دول أوروبا الشرقية في الجامعات الإسلامية مثل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بغية إعداد أئمة ودعاة مؤهلين بالفكر الإسلامي الصحيح وجعلهم رسلاً لثقافة هذه البلاد الطاهرة التي ما فتىء ولاتها يعملون على نشر رسالة الأسلام في كل مكان.

١٤ - الإهتمام بتوعية مسلمي دول أوروبا الشرقية بتعاليم الإسلام ومساعدتهم لاستعادة ثقتهم بدينهم وحضارتهم وذلك بتعريف وتقديم الإسلام وأحكامه سهلاً واضحاً نقياً من افتراءات الشيوعيين والحاقدين الذين عملت أجهزتهم بالتشويش على تفكيرهم وثقافتهم وذلك بالطرق الآتية:

أ - إعداد مواد مقروءة ومسموعة ومرئية عن الإسلام وأحكامه وتعاليمه وعلاقته بالحياة والعلم والحضارة بأسلوب واضح بسيط يتضمن رداً ضمنياً على كل ما افتراه الأعداء ضده وذلك باللغات المحلية.

ب - اختيار بعض الكتب والدراسات والبحوث التي تتوفر حالياً عن مبادىء الإسلام وفضائله وتتلائم مع احتياجات الثقافة الدينية لمسلمي دول الكتلة الشرقية وترجمتها إلى لغاتهم المحلية.

جـ - إعادة نشر كتب التراث الإسلامي الجيد التي وضعها أسلاف المسلمين في دول الكتلة الشرقية حتى يكون في ذلك تذكير الأبناء والأحفاد بعمل الآباء والأجداد وإعادة صلتهم بماضيهم الثقافي الإسلامي.

د - تزويد الجماعات والأفراد والمدارس الإسلامية بما تحتاجه من

وسائل التوعية والتثقيف بالإسلام ويعينهم على تفهم دينهم وتوعيتهم بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة بما يتناسب مع أوضاعهم الحالية واحتياجاتهم الثقافية.

١٥ ـ إعطاء الأولوية والأهمية لدعم التعليم الإسلامي وتربية أبناء المسلمين بتقديم المساعدة المالية لإنشاء المدارس ودور القرآن الكريم وتزويدهم بالمدرسين والأجهزة العلمية والمواد التعليمية.

١٦ ـ إرسال الدعاة والأئمة والمدرسين بإسم الزيارة والسياحة لفترات قصيرة تتراوح بين شهر إلى ثلاثة شهور لزيارة المسلمين في دول الكتلة الشرقية ونشر التوعية الدينية بينهم بالإتصال والإحتكاك الشخصي ووضع خطة من أجل تعيينهم دعاة وأئمة ثابتين حسب الظروف المتاحة في دول الكتلة الشرقية.

١٧ ـ عمل بيانات دقيقة وإحصائيات للمساجد والأوقاف الإسلامية التي صادرتها حكومات دول الكتلة الشرقية سابقاً وحولتها إلى متاحف ومستودعات والعمل قانونياً على استعادتها للمسلمين وتشغيلها للأغراض المخصصة شرعاً.

١٨ ـ عمل بيانات دقيقة للمساجد الموجودة التي أعيدت للمسلمين، ووضع دراسة لما تحتاجه من ترميم وإصلاح ووضع خطة مرحلية للإصلاح والترميم فيها حسب الأهمية والأولوية.

١٩ ـ إقامة ملتقى إسلامي لمسلمي دول أوروبا الشرقية في وارسو ببولندا أو بودابست بالمجر بهدف دعم الوجود الإسلامي وتوعية المسلمين بمبادىء الإسلام وأحكامه وتعريفهم بموقف الإسلام من المسيحية واليهودية وتقوية صلتهم بالإسلام معنوياً وثقافياً لمقاومة التنصير والإلحاد وتعريف المسيحيين وغيرهم بما يجب أن يعرفوه عن الإسلام وتعاليمه.

٢٠ ـ متابعة ترجمات معاني القرآن الكريم التي صدرت في دول الكتلة الشرقية بالمراجعة والتصحيح وإعلان أخطائها لعامة المسلمين

والسعي لإيجاد ترجمات صحيحة معنى وأسلوباً باللغات المحلية وذلك بالإستعانة بالجمعيات والشخصيات العلمية الإسلامية هناك.

٢١ - دعوة هيئةِ الإغاثة الإسلامية العالمية إلى فتح مراكز إغاثة صحية وغذائية في مناطق المسلمين في رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا بهدف تقديم مساعدات عينية عاجلة إلى المسلمين الفقراء.

٢٢ - تنسيق العمل الإسلامي بين الجهات المعنية في المملكة مثل:

أ - البنك الإسلامي للتنمية.

ب - هيئة الإغاثة الإسلامية.

جـ - جمعية إقرأ الخيرية.

د - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

هـ - رابطة العالم الإسلامي.

٢٢ - على وضع خطة مشتركة متكاملة للأعمال والمشروعات التي يتطلب الأمر تنفيذها في تلك البلاد حتى تتولى كل جهة تنفيذ بعضها وتقديم المساعدات ضمن إطار واحد بدون تكرار جهد ومال.

على أن يتم تشكيل لجنة من هذه الجهات المعنية تجتمع شهرياً لمتابعة التشاور ويكون مقرها وسكرتيرتها في الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

٢٣ - إن التغييرات التي طرأت في دول الكتلة الشرقية وسقوط أنظمتها الشيوعية وظروف المسلمين البائسة واحتياجاتهم الماسة إلى العمل الإسلامي وقطع الطريق على الجهات التي تحاول التشويش على المسلمين يتطلب عملاً سريعاً ومتقناً للإستفادة من الظروف الحالية. وحيث أن العمل ذو أوجه متنوعة تحتاج إلى تضافر جهود عدد من الإدارات ذات النشاط الخاص.

فمن المناسب تشكيل فريق عمل في رابطة العالم الإسلامي لمتابعة الأعمال وسرعة الإنجاز.

٢٤ - الإسراع بفتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي يتولى مسئولية الإشراف ومتابعة النشاط الإسلامي في دول أوروبا الشرقية وإلى أن يتم فتح المكتب إرسال مندوب من الرابطة لدول أوروبا الشرقية كل شهرين لمعرفة سير العمل الإسلامي ومتابعة النشاطات والمشروعات ورفع تقرير عن ذلك دورياً.

٢٥ - إقامة دورات تدريبية وتثقيفية لأئمة المساجد الموجودين في دول أوروبا الشرقية وخاصة في رومانيا وبلغاريا وألبانيا لمدة شهر واحد.

٢٦ - استكمال دراسة أحوال المسلمين في دول أوروبا الشرقية بزيارة دول البلقان الشمالية ودول بحر البلطيق التي يعيش فيها جماعات تتارية مسلمة وهم بقايا دولة التون أورده المسلمة وكذلك زيارة يوغسلافيا للإطلاع على أحوال المسلمين واحتياجاتهم الإسلامية على ضوء التغييرات السياسية والإضطرابات العرقية التي حدثت فيها وكان المسلمون من الفئات المحلية المتضررة منها.

الفهرس